الاقتصاد العالمي وجائحة COVID-19: تفسير التداعيات واستشراف الآفاق

«في إطار نظرية الأنساق»

The Global Economy and the COVID-19 Pandemic: Explaining Implications and Prospects in the Framework of Systems Theory

د. محمد رمضان محمد الزيني (*)

.دكتوراه الفلسفة في الاقتصاد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة

ملخص:

تشهد المجتمعات تفشي جائحة فيروس (COVID-19) على مستوى العالم. وتهدف الدراسة إلى تتبع تداعيات الجائحة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً في عدد من الدول المختارة، خلال الفترة يناير - يونيو (عام 2020)، ومحاولة تفسير تلك التداعيات، واستشراف التحديات المستقبلية. وقد تم التمييز بين مجموعتين من الدول الأكثر تأثراً بالجائحة خلال الفترة البحثية، من حيث عدد الإصابات المؤكدة والوفيات. المجموعة الأولى: مجموعة من دول العالم، وهي؛ الصين وإيران وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا وإنجلترا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية. والمجموعة الثانية: مجموعة دول من المنطقة العربية هي؛ السعودية والكويت والإمارات ومصر والجزائر وتونس. وقد تم الاعتماد على بيانات منظمة الصحة العالمية World Health Organization (WHO) ، ومعالجتها بهدف العرض والمقارنة الإحصائية. فضلاً عن الاعتماد على منهج التحليل الوصفي (Descriptive Analysis)، وتبني نهج النظرية العامة للأنساق (General Systems Theory) في تفسير تداعيات الجائحة. وقد خلصت الدراسة إلى أنه في ظل النسق الاقتصادي العالمي الحالي تشكلت المعضلة الرئيسية لمواجهة جائحة (COVID-19) في خضوع الخدمات الأساسية إلى دافع الربح. وفي إطار النسق السياسي يمكن القول أن تنامي العولمة وتراجع دور الدولة الاقتصادي والاجتماعي قد أدى إلى عجز الحكومات عن القيام بدور رئيس في مواجهة هذا النمط من الكوارث والجوائح. وفي إطار النسق الاجتماعي،

(*) moh_elzeiny@yahoo.com

ومفهـوم "سيكولوجيـا الأوبئـة" (Epidemic Psychology) يمكـن وصف الحالـة المجتمعية المصاحبـة لجائحـة (COVID-19) في دول العالم بأنها حالة "مجتمـع المخاطر". وفي ظل تطـورات الجائحة وتداعياتها على مستوى العالم خلال الفترة البحثية، يمكن القول أننا أمام لحظة تأريخية على مستوى النظام الاقتصادي العالمي، ليس فقط بسبب الجائحة، بل لأن هذه الجائحـة بأبعادها الحالية تمثل ظرفاً كاشفاً عن التناقضات والأزمات الهيكلية التي تواجهها الحضارة الحالية بأنساقها المختلفة.

Abstract:

COVID-19 pandemic spreads all over world. The objective of this study is tracking economic, political and social consequences of the pandemic in selected countries, during period January - June 2020. We tried explaining these consequences, and clarifying the future challenges. A distinction was made between two groups of countries most affected by the pandemic, the first group: a group of world countries, namely; China, Iran, Italy, Germany, France, Spain, England, Russia and the USA. The second group; a group of Arab countries, namely: Saudi Arabia, Kuwait, the UAE, Egypt, Algeria and Tunisia. The data based on statistics of World Health Organization (WHO), and processed for purpose of statistical presentation and comparison. Moreover, we relied on two approaches for explaining the pandemic's consequences; descriptive analysis approach, and general systems theory approach. The results revealed that, in light of current global economic system, the main dilemma for facing the pandemic is subordination of basic services to "profit motive". In the context of political system, the increasing globalization and the decline of state's economic and social role have led to inability of governments to play a major role in facing this type of pandemics. As well as social system and the concept of "Epidemic Psychology", social situation associated with the pandemic can be described as the case of a "Risk Society". In light of the above, it can be said that we are facing a historical moment at the level of global economic system, not only COVID-19 pandemic itself, but also this pandemic represents a revealing circumstance for contradictions and structural crises facing the current civilization with its patterns.

مقدمة :

بدأ العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين بظهور جائحة فيروس(COVID-19)وانتشارها على مستوى العالم[1]، وينتمي (COVID-19) إلى عائلة فيروس الكورونا، والتي تضم أيضاً الـ "سارس" (Severe Acute Respiratory Syndrome (SARS) ، والـ "ميرس" (Mid-dle East Respiratory Syndrome (MERS) ، والتي تسببت مع الأوبئة المشابهة لها في وفاة عشرات الملايين (الجدول رقم (م-1): ص ص .29- 34). بدأ (COVID-19) انتشاره من الصين – وتحديداً من مدينة ووهان الصينية- وامتد ليصيب أكثر من حوالي (10،2) مليون شخص على مستوي العالم في نهاية يونيو عام (2020)، وبمتوسط زيادة يومية حوالي(163,9 ألف) إصابة مؤكدة، وبنسبة زيادة يومية قدرها (1,63 %)، فضلاً عن تسبب تفشي الجائحة في وفاة حوالي (504) ألف شخص على مستوي العالم خلال ذات الفترة، وبمتوسط إرتفاع في الوفيات اليومية حوالي (3,93 ألف) حالة، وبمعدل زيادة (0,89 %) وذلك منذ بدء تسجيل الإصابات من منتصف شهر يناير عام (2020)[2] .

وأدى تفشي جائحة (COVID-19) إلى تداعيات خطيرة على كل دول العالم، وتسببت في نشوء أزمات في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وكذلك ظهور آثارها على القطاعات الاقتصادية المختلفة؛ وخاصة قطاعات الخدمات، وعلى رأسها الخدمات الطبية، من خلال استنزاف عناصر المنظومات الطبية؛ المادية والبشرية، في الدول المتقدمة. فضلاً عن معاناة الدول النامية ذات المستويات الطبية الضعيفة والمتدهورة بالأساس.

واتخذت حكومات الدول عدداً من التدابير الاحترازية و إجراءات التباعد الاجتماعي في اطار سعيها لاحتواء انتشار الجائحة، تلك الإجراءات التي وصفت بأنها اتسمت بغياب الكفاءة والكفاية، فضلاً عن عدم اتخاذها في التوقيت المناسب. وانتشرت مخاوف تعميق الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في ظل التدابير الحكومية المتخذة لمواجهة تفشي الجائحة، تلك الأزمات التي ظهرت بوضوح في القطاعات والأسواق شديدة الحساسية لتطورات الجائحة

(1) وفقاً لمنظمة الصحة العالمية (World Health Organization (WHO)، تم توصيف تفشي (COVID-19)على أنه جائحة (Pandemic) وليس وباء (Epidemic)، ويشير الثاني إلى تفشي المرض وانتشاره بسرعة على نطاق جغرافي محدود نسبياً، بينما يشير مفهوم الجائحة (Pandemic) إلى تفشي المرض وخروجه عن السيطرة، وانتشاره على نطاق جغرافي أوسع ، فضلاً عن تسببه في وفاة أعدادًا أكبر من المصابين مقارنةً بالأوبئة، وغالبًا ما يؤدي ظهور الجوائح إلى نشوء اضطرابات اجتماعية وأزمات اقتصادية، وإعادة تشكيل للأنظمة السياسية والمنظمات الدولية (WHO, March 2020).

(2) World Health Organization (WHO), last retrieved: 7th July 2020, from: https://covid19.who.int/

والإجراءات الاحترازية المتخذة، وهي قطاعات السياحة والطيران والخدمات الاجتماعية، وسوق العمل العالمي [3]، والاستثمارات الأجنبية والأسواق المالية [4] وسلاسل التوريد العالمية.

وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع تطورات جائحة (COVID-19) وتداعياتها في عدد من الدول المختارة على مستوى العالم، خلال الفترة يناير – يونيو عام (2020). فضلاً عن محاولة تفسير تلك التداعيات، واستشراف التحديات المستقبلية. وفي إطار تحديد الدول محل الدراسة، تم اختيار الدول الأكثر تأثراً من حيث عدد الإصابات المؤكدة والوفيات الناجمة عن تفشي الجائحة وفقاً لبيانات منظمة الصحة العالمية (WHO) خلال الفترة محل البحث وهي: الصين وإيران من قارة آسيا، وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وأسبانيا وإنجلترا وروسيا من أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية من أمريكا الشمالية. ومن المنطقة العربية؛ تم اختيار الدول الأكثر تأثراً من حيث عدد الإصابات المؤكدة والوفيات المسجلة عن تفشي الجائحة وفقاً لبيانات منظمة الصحة العالمية خلال الفترة محل البحث وهي: السعودية والكويت والإمارات من منطقة الخليج، ومصر والجزائر وتونس من منطقة شمال إفريقيا. وتطرح الدراسة ثلاثة أسئلة أساسية:

1 - ما هي الأنماط المختلفة لتطورات جائحة(COVID-19)على المستوى العالمي، وأهم تداعياتها؟

2 - ما هي أبعاد تلك التداعيات في إطار النظرة الكلية للاقتصاد العالمي؟

---

(3) وصفت منظمة العمل الدولية (International Labour Organization (ILO) هذه الجائحة بأنها أسوأ أزمة عالمية منذ الحرب العالمية الثانية، نظراً للتأثيرات السلبية على نحو (3,3) مليار عامل على مستوي العالم، وبما يمثل حوالي (81 %) من إجمالي قوة العمل العالمية. وأشارت تقديرات (ILO) إلى انخفاض ساعات العمل بنسبة (6,7 %) في الربع الثاني من عام(2020)، وبما يؤثر سلبياً على حوالي (195مليون) عامل على مستوى العالم. فضلاً عن فقدان نحو (12) مليون عامل لوظائفهم في أوروبا نتيجة انخفاض عدد ساعات العمل بنسبة (7,8 %) فيها. وكذلك فقدان حوالي (125مليون) عامل لوظائفهم في منطقة آسيا والمحيط الهادي بسبب خفض ساعات العمل بنسبة(7,2 %). أما بالنسبة للمنطقة العربية، فقد أشارت تقديرات (ILO) إلى انخفاض ساعات العمل في المنطقة بنحو (8,1 %)، بما سيؤدي إلى فقدان حوالي (5 مليون) عامل لوظائفهم. فضلاً عن إشارة تقديرات المنظمة إلى أكثر القطاعات المتضررة نتيجة الإجراءات الحكومية المتخذة في مواجهة الجائحة وهى، تجارة الجملة والتجزئة، والتصنيع، والسياحة والطيران، وسلاسل التوريد العالمية، والأنشطة التجارية والإدارية. في حين أشارت (ILO) إلى أن ضعف التأثير للإجراءات المتخذة على قطاعات التعليم والصحة والدفاع والضمان الاجتماعي (ILO, 7th April 2020).

(4) ارتفعت مستوى التقلبات في سوق الأوراق المالية العالمية في ظل تطورات تفشي جائحة (COVID – 19)، وخاصةً في الولايات المتحدة الأمريكية، لتتجاوز المستويات التي حدثت سابقاً أثناء الأزمات العالمية المالية وأهمها: الأزمة المالية العالمية في ديسمبر عام (2008). والأزمة المالية في أكتوبر (1987)، وأزمة الكساد الكبير في عام (1929). فقد أدت جائحة (COVID – 19) إلى تقلبات شديدة في سوق الأوراق المالية العالمية منذ أواخر فبراير عام (2020). فضلاً عن تدهور قيم العقود الآجلة للنفط الخام الأمريكي في منتصف شهر إبريل عام (2020)، كما سيتم تناوله لاحقاً ص.(24). وتزداد التوقعات بامتداد الآثار المالية والاقتصادية السلبية على الاقتصاد العالمي ككل، وذلك في ظل علاقات التأثير والتأثر بين الاقتصادات الدولية، وتشابك العلاقات والمصالح الدولية في ظل صعود متنامي للشركات متعددة الجنسيات على النحو الذي سنناقشه لاحقاً ص. (17).

3 - ما هي التحديات المستقبلية في ضوء رصد تطورات الجائحة وتفسير تداعياتها؟

وفي محاولة للإجابة عن تلك الاسئلة، نعتمد على منهج التحليل الوصفي (Descriptive Analysis)، كما يمتد التحليل الخاص بالدراسة إلى تناول الظاهرة من المنظور الكلي، الذي قد يتجاوز في مداه البعد الاقتصادي التقليدي، وذلك في ظل صعوبة تتبع تداعيات تطورات الجائحة وتشابك أبعادها. ونتبنى في تفسير تداعيات جائحة (COVID-19) وتحدياتها المستقبلية نهج النظرية العامة للأنساق (General Systems Theory) [5] ، بأنساقها المختلفة؛ النسق الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، مع الإشارة ضمناً إلى النسق التأريخي في سياقه [6] . ويرجع المبرر في تبني هذا النهج أننا نتعامل مع ظاهرة اجتماعية معنية بالأساس بالجنس البشري وطبيعة الحياة الإنسانية. فضلاً عن التشابك والغموض واللايقين الذي يشوب تطورات الجائحة وتداعياتها. الأمر الذي يجعلنا نحاول البحث عن إجابات للأسئلة البحثية من منظور تحليلي كلي، قد يتجاوز في مداه وأفقه حدود التحليل الاقتصادي، بشقيه التقليدي والكمي.

وبناء على ما سبق، تنقسم الدراسة إلى أربعة أجزاء بخلاف المقدمة، كما يلي:

1) **تطورات جائحة (COVID-19) في الدول المختارة، وأهم تداعياتها خلال الفترة البحثية .**

2) **تفسير تداعيات جائحة (COVID-19) في ظل النظرية العامة للأنساق.**

3) **مستقبل التحديات الناشئة عن جائحة (COVID-19).**

4) **خاتمة.**

---

(5) جودة عبد الخالق، جائحة كورونا المعتاد الجديد.. الدلالات والتبعات، جريدة الأهرام. 4 مايو(2020): ص.(10).

(6) تعتبر النظرية العامة للأنساق (General Systems Theory) نظرية شاملة، يمكن تطبيقها على كافة الأنساق الاجتماعية. وقدم "نيكولاس لومان" التجريد العام لهذه النظرية، والذي حقق لها شموليتها. حيث أشار "لومان" إلى أن الروابط داخل كل نسق من الأنساق العامة والمفتوحة تتم بناء على منطق ذاتي مستقل عن منطق الأنساق الأخرى؛ والتي أسماها"لومان" "الأنساق الوظيفية Functional Systems "، لأن كل منها ينفرد بوظيفة اجتماعية محددة. وتبني هذه الأنساق الوظيفية بشكل مشابه، فكل نسق منها لا يمكن له القيام إلا بوظيفته، فهو مستقل؛ بمعني إنتاجه الذاتي للقواعد التي يعمل على أساسها، وكذلك إنتاجه للعناصر التي يتشكل منها هذا النسق. وتعتمد النظرية العامة للأنساق على نقطتين أساسيتين: النقطة الأولى هي التمييز بين النسق والبيئة؛ حيث تتشكل بيئة النسق من كل الأنساق الأخرى التي تحيطه، واستناداً إلى ذلك يمكننا تحليل كيفية قيام الأنساق بوظائفها، وكيفية تحليل تغيراتها الديناميكية بالنسبة للبيئة المحيطة بها. النقطة الثانية هي الاعتماد على وجود الترابط البنيوي بين الأنساق الوظيفية الذى يمثل القنوات التي تربط النسق بالبيئة المحيطة، ويتم من خلال الترابط البنيوي اختزال التعقيدات والتشابكات الذي تتميز بها البيئة، كونها أكثر تعقيداً وتشعباً من النسق، بما يعني اختزال الأحداث والوقائع الموجودة والمحيطة في البيئة، وبالتالي تقليل التأثيرات الممكنة على النسق بغرض التحليل، وهذا هو الشرط اللازم لتعامل النسق مع الوقائع والأحداث التي يسمح بها، فاختزال التعقيد هو الشرط الضروري لوصف معايشة الفعل والتحدي والاستجابة للأنساق الوظيفية في ظل ترابطها العضوي (لمزيد من التفاصيل أنظر، نيكولاس لومان. مدخل إلى نظرية الأنساق، (ترجمة يوسف فهمي حجازي)، ألمانيا، الطبعة الأولى، ألمانيا: منشورات الجمل،(2010).

1. جائحة (COVID-19): التطورات، التداعيات، وإجراءات المواجهة:

نتناول هنا تطورات الجائحة وتداعياتها خلال الفترة البحثية في الدول محل الدراسة. ويتم التمييز بين مجموعتين من الدول المختارة للدراسة: **الأولى:** مجموعة من دول العالم الأكثر تأثراً بالجائحة خلال الفترة البحثية، من حيث عدد الإصابات المؤكدة والوفيات، ووفقاً لبيانات منظمة الصحة العالمية وهي؛ الصين وإيران من قارة آسيا، وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وإسبانيا وإنجلترا وروسيا من أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية من أمريكا الشمالية. **الثانية:** مجموعة دول من المنطقة العربية الأكثر تأثراً من حيث عدد الإصابات المؤكدة والوفيات المسجلة عن تفشي الجائحة وفقاً لبيانات منظمة الصحة العالمية خلال الفترة محل البحث وهي؛ السعودية والكويت والإمارات من منطقة الخليج، ومصر والجزائر وتونس من منطقة شمال أفريقيا. ويوضح الشكلان رقم (1) ، رقم (3) أعداد الإصابات المؤكدة الناجمة عن تفشي (COVID-19) في مجموعتي الدول المختارة. ويوضح الشكلان رقم (2) ورقم (4) أعداد الوفيات عن (COVID-19) في ذات المجموعتين من الدول. وقد تم الاعتماد على البيانات الصادرة عن احصائيات وتقديرات منظمة الصحة العالمية، ومعالجتها بهدف العرض والمقارنة(World HealthOrganization (WHO.

يتضح من الأشكال الموضحة الهدف الذي تحاول الوصول إلية كافة الدول، وهو مرحلة "تسطيح المنحنى Flatted Curve " للإصابات المؤكدة والوفيات، بما يعني السيطرة على زيادة أعداد الإصابات والوفيات. واتخذت الحكومات اجراءاتها الاحترازية بشكل متفاوت، من حيث التوقيت والإلزامية في التنفيذ، في محاولة للوصول إلى مرحلة" تسطيح المنحنى". وقد اتخذت هذه الاجراءات أحد الأنماط الثلاثة الأتية: تدابير احترازية وإغلاق مشددين؛ مثل التدابير التي اتخذتها الصين. تدابير احترازية تدريجية؛ وتبني هذا النهج دول أمريكا الشمالية وأوروبا. وتدابير استباقية مشددة؛ وتبنت هذا النهج كوريا الجنوبية [7].ويوضح الشكلان رقم (1) ورقم (2) تطور أعداد الإصابات المؤكدة والوفيات في المجموعة الأولي منذ منتصف يناير عام 2020 وحتى يونيو من ذات العام، في الدول المختارة السابق الإشارة إليها.

(7) انتهجت كوريا الجنوبية تدابير استباقية مشددة واحترازية منذ بدء الجائحة أهمها: إغلاق حركة الطيران والحدود، وإجراء الفحص الطبي الشامل للعدد الأكبر من السكان، وعزل المصابين، وتتبع المخالطين للحالات الإيجابية بمنتهي الجدية، الأمر الذي أتاح للدولة السيطرة على بدايات انتشار المرض دون اللجوء إلى إجراءات الإغلاق التام وتقييد حركة السكان بين المدن أو إغلاقها. وهو ما يشير إلى أن أهمية وفعالية الإجراءات لمواجهة الجائحة لا تتوقف فقط على القرارات المتخذة، بل يتوقف أيضاً على التوقيت السليم لاتخاذها ، فضلاً عن الجدية والتوافق المجتمعي على ضروريتها والزاميتها (لمزيد من التفاصيل أنظر: مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، كوفيد – 19: إعادة تشغيل الاقتصاد، رؤى وخبرات دولية، العدد الأول، 20 مايو (2020): ص ص. (82- 89).

شكل رقم (1)

تطور أعداد الإصابات المؤكدة بفيروس Covid-19 خلال الفترة 11 يناير 2020 حتى 5يونيو 2020

(عينة مختارة من دول العالم)

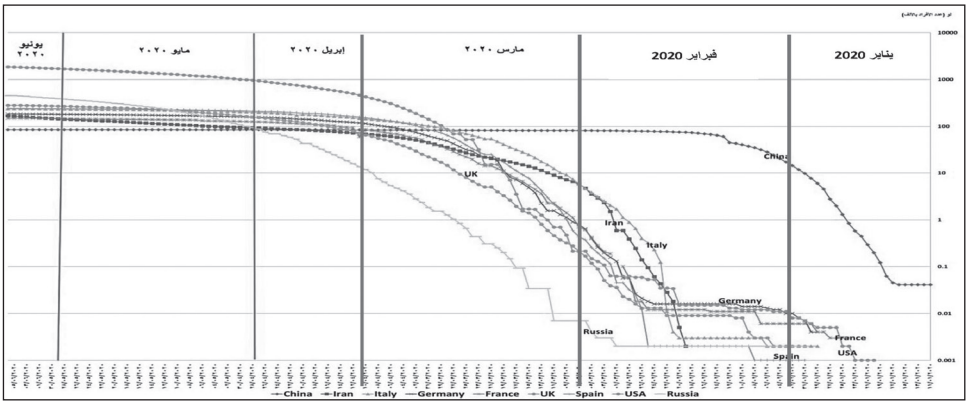

المصدر: بواسطة الباحث بالاعتماد على:

- World Health Organization (WHO), last retrieved: 6 June 2020, from: https://covid19.who.int/

شكل رقم (2)

تطورإجمالي أعداد الوفيات بفيروس Covid-19 خلال الفترة 11 يناير 2020 حتى 5 يونيو 2020

(عينة مختارة من دول العالم)

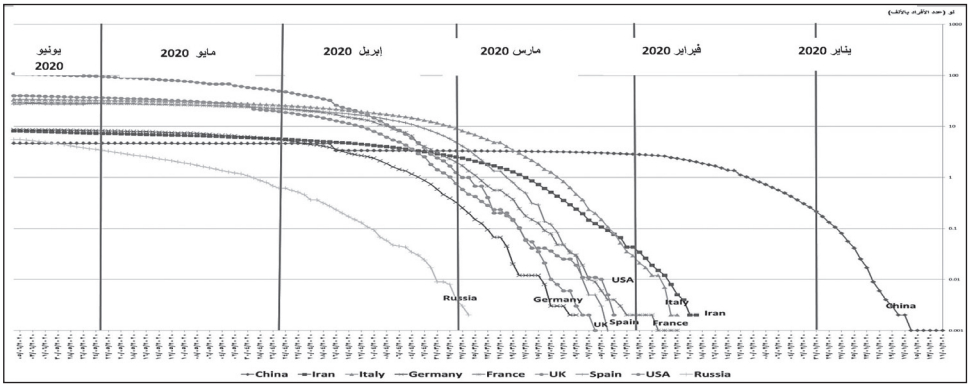

المصدر: بواسطة الباحث بالاعتماد على:

- World Health Organization (WHO), last retrieved: 6 June 2020, from: https://covid19.who.int/

يتضح من الشكلين السابقين تطورات الجائحة في المجموعة الأولى من الدول المختارة، السابق الإشارة إليها (ص. 4)، ما يلي:

بدأ تفشي جائحة (COVID-19) من الصين كما أشرنا مسبقاً (ص. 2)، وقد بدأت منظمة الصحة العالمية (WHO) في تسجيل الإصابات والوفيات الناجمة عن الجائحة منذ منتصف شهر يناير عام (2020)، بالرغم من إعلان الصين عن ظهور المرض منذ شهر ديسمبر عام (2019). الأمر الذي قد يشير إلى ارتباك منظمة الصحة العالمية تجاه تفشي الجائحة، وربما يرجع ذلك إلى الضغوط التي تمارسها الدول الأعضاء في المنظمة، في ظل سياسات الشركات متعددة الجنسيات العاملة في أنشطة وقطاعات ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بديمومة حركة النشاط الاقتصادي والتجاري والمالي العالمية [8] .وخلال الفترة منذ منتصف شهر يناير عام (2020) بدأ منحنيي الإصابات المؤكدة والوفيات في الصين في الصعود بشكل متنامي وملحوظ، وتزامن ذلك مع بدء ظهور الإصابات في كل من الولايات المتحدة وإيطاليا.

وبدأت الصين خلال تلك الفترة العديد من الإجراءات الاحترازية بهدف احتواء المرض وتداعياته، وأهم هذه الإجراءات: الإغلاق الكامل لمدينة " ووهان" في 23 يناير عام(2020) باعتبارها بؤرة تفشي(COVID-19)، وعزل المخالطين والمشتبه في إصابتهم بالفيروس باعتباره الإجراء الرئيس للسيطرة على تفشي الجائحة، فضلاً عن توفير المعدات والخدمات والمستلزمات الطبية، مع الحفاظ على ديمومة أنشطة سلاسل التوريد لتوفير السلع الأساسية، فضلا عن التنسيق بين القطاعين العسكري والمدني في تنفيذ تلك الإجراءات الاحترازية المشددة لمواجهة الجائحة [9] . بينما اختلف الوضع في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث وُصف تعامل الإدارات الحكومية في تلك الدول بالتراخي والبطء في تنفيذ الإجراءات الاحترازية المشددة، ربما يرجع السبب في ذلك إلى التخوف من توقف الأنشطة والقطاعات الاقتصادية مع تنفيذ الإجراءات المشددة، فضلاً عن غياب المنهجية ومرونة اتخاذ القرار في التكيف مع صدمة تداعيات هذه النوعية الاستثنائية من الكوارث والجوائح [10].

(8) وجه الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" خلال تلك الفترة اتهامات صريحة إلى منظمة الصحة العالمية (WHO) بالتواطؤ مع الصين وتسببهما صراحةً في تفشي الجائحة بإخفائهم الحقائق (DW, 29th May 2020).

(9) كان أحد أهم مظاهر ذلك التنسيق بين القطاعين العسكري والمدني في الصين نجاحها في بناء مستشفيات ميدانية مجهزة بالخدمات والمستلزمات الطبية، وبسرعة زمنية استثنائية. فضلاً عن توزيع أقنعة الوجه (الكمامات) في الأماكن العامة، وتنفيذ حظر التجول بجدية وصرامة شديدين في الطرق الرئيسية والمدن المعزولة.

(10) لم تتبع الدول الأوروبية نهجاً متماثلاً في مواجهة (COVID-19)، فعندما تفشي الفيروس في إيطاليا، وفي ظل ظروف اقتصادية صعبة، وضعف قطاعها الصحي، وعجزه عن مواجهة الجائحة، اكتفت دول الاتحاد الأوروبي الأخرى بتوجيه اتهامات التراخي والعجز للإدارة الحكومية الإيطالية وقطاعها الصحي غير الكفء، بدلاً من توجيه المساعدات والبحث عن حلول للأزمة باعتبارها مشكلة أوروبية وعالمية. وعندما بدأ تفشي COVID-19 في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا، أُجبرت على تطبيق الإغلاق الشامل والتدابير الاحترازية كما سيتم تناوله لاحقاً (ص ص. 8- 9)، الأمر الذي أدي إلى

وابتـداء من منتصف شهر فبراير عام (2020) ، ومـع تطبيق الإجراءات الاحترازية المشددة، استطاعت الصين الوصول إلى مرحلة " تسطيح المنحنى" للإصابات والوفيات المؤكدة (الشكلان رقم (1) و رقـم (2): ص.(5)، ساعدها في ذلـك السيطرة المركزية للدولة على معظم الأنشطة والقطاعات الاقتصادية، فضلاً عن الوعي والالتزام الكاملين من المواطنين بالإجراءات الاحترازية المشددة [11] . وخـلال ذات الفـترة، وحتى نهاية إبريل عام (2020)، بدأت أعـداد الإصابات والوفيات الناجمة عن(COVID-19) في الظهور والتصاعد المطرد في كل من إيران و عدد من الدول الأوروبية وهي إيطاليا وألمانيا وأسبانيا وروسيا ، فضلاً عن استمرار تصاعد الإصابات والوفيات في كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية (الشكلان رقم (1)، ورقم (2): ص. (125). تزامن ذلك مع اتخاذ تلـك الدول التدابير الاحترازية التدريجية كنهج مختلف عن النهج الذي اتخذته الصين في التعامل مـع الجائحة، مما أدى إلى صعوبـة السيطرة على تفشي(COVID-19) في الـدول المشار إليها، وتصاعد أعداد الإصابات والوفيات حتى يونيو من عام (2020).

ففي الولايات المتحدة الأمريكية، تباطأت الإدارة الأمريكية في تنفيذ خطة متكاملة لمواجهة الأزمة، برغم توفر المعلومات الواردة من الصين بانتشار الجائحة منذ ديسمبر عام(2019). وبالرغم من بدء الولايات المتحدة في تسجيل الإصابات منذ شهر يناير عام (2020)، أنها لم تستطع الوصول إلى حالة التسطيح الكامل لمنحنى الإصابات والوفيات خلال الفترة البحثية المشار إليها ص.(3). ويمكن إرجاع السبب في ذلك إلى اتخاذ الإدارة الأمريكية نهج التدابير الاحترازية التدريجي، في ظل سيطرة أقل مركزية للدولة (State Control) عن نظيرتها الصينية. الأمر الذي دفع حكام الولايات الأمريكية لاتخاذ إجراءات أكثر صرامة في مواجهة تفشي الفيروس [12]، في ظل تصاعد منحنى أعداد الإصابات المؤكدة بـ(COVID-19) بداية من أوائل مارس عام

توجيه اتهامات للإدارات الحكومية في دول الاتحاد الأوروبي بالتراخي والإدارة الضعيفة للأزمة، ووضع الاتحاد الأوروبي ككيان سياسي في خطر التهديد الوجودي.

(11) ألمح المدير العام لمنظمة الصحة العالمية في فبراير عام 2020 إلى ضرورة تبني النهج الصيني في مواجهة الجائحة، حيث حث دول العالم على تبني التدابير السريعة والإجراءات المشددة لاحتواء جائحة COVID-19 (WHO, 16th February 2020).

(12) أصدر الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" مبادئ توجيهية غير ملزمة إلى حكام الولايات، حيث تضمن الأمر الرئاسي توجيهات غير ملزمة بالتوقف عن الأنشطة اليومية ابتداء من الأول من مارس حتى 30 إبريل عام 2020، الأمر الذي أضعف كثيراً من فاعلية الإجراءات الاحترازية. فضلاً عن تضارب القرارات المتعلقة بالإجراءات الاحترازية الخاصة بالعزل بين الولايات، حيث قام حكام بعض الولايات بتخفيف القيود الاحترازية في ولايات تكساس وفلوريدا، فيما أعلن حكام ولايات أخري تشديد وتمديد قرارات الإجراءات الاحترازية في ولايات كونيتيكت و ماساتشوستس وفيرجينيا (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، مرجع سبق ذكره : ص. 128). وقد أدي هذا الارتباك إلى صعوبة وصول منحنى الإصابات والوفيات إلى مرحلة التسطيح الكامل في الولايات المتحدة خلال الفترة البحثية المشار إليها (ص. 3).

2020، وارتباك الرئيس الأمريكي نتيجة صراعاته الداخلية الناجمة عن أزمات القطاع الطبي، والأزمات الاقتصادية، والاحتجاجات الاجتماعية [13]. ومع تفاقم حدة الأزمات، ارتفعت معدلات البطالة في ظل التدابير المتخذة في الولايات المختلفة، حيث ارتفعت نسب طلبات الحصول على إعانات البطالة [14]، وسط توقعات بانخفاض الناتج المحلي الإجمالي بنسب تتراوح بين(30 %) و(50 %)مقارنةً بذات الفترة من عام(2019). فضلاً عن الضرر الشديد للقطاعات والأنشطة الاقتصادية في ظل التدابير الاحترازية [15]. مما يؤكد ضعف الدور المركزي للإدارة الأمريكية في مواجهة تفشي الجائحة [16].

ويمكن القول أن إدارة الرئيس الأمريكي ارتكبت عدة أخطاء استراتيجية أدت إلى تعميق أزماتها أهمها: الإخفاق في تصنيع اختبارات تشخيص الإصابة بالفيروس بأعداد كبيرة لكشف الإصابات، الأمر الذي ترتب عليه إجراء الفحص الطبي لعدد محدود من السكان. فضلا عن عدم استمرار عمل سلاسل توريد السلع الاساسية بكفاءة؛ وخاصةً توريد المعدات والمستلزمات الطبية. الأمر الذي اسهم بقوة في

(13) شهدت عدة ولايات أمريكية مظاهرات احتجاجات في 26 مايو عام 2020، وذلك عقب وفاة " جورج فلويد "الأمريكي من أصل أفريقي بمدينة مينابولس بولاية مينيسوتا ، بسبب محاولة أفراد الشرطة القبض عليه، ليصرخ بعبارة "**لا أستطيع التنفس**" قبل وفاته ، وتتحول تلك العبارة إلى شعار الاحتجاجات التي شهدتها الولايات الأمريكية (France24, 6 June 2020). و اضطر الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" إلى فُرض حظر التجول على حوالي 200 مدينة في الولايات المتحدة في3 يونيو عام 2020 ، وتم استدعاء حوالي 62,000 فرد من الحرس الوطني الأمريكي لضبط الأمن في أكثر من 30 ولاية أمريكية، بالإضافة إلى واشنطن العاصمة. وامتدت الاحتجاجات والمظاهرات العنيفة إلى أنحاء أخري من العالم في أكثر من 60 دولة ، ومنها فرنسا وانجلترا، للتنديد بالعنصرية والعنف من السلطات تجاه أفراد المجتمع (France24, 14th June 2020). تلك الاحتجاجات التي قد يكون سببها الأساسي التداعيات السياسية والاجتماعية الناشئة عن الجائحة، وأهمها تنامي الشعور المجتمعي بالخطر الناشئ عن الأزمة، فضلاً عن تصاعد الشعور بغياب العدالة والمساواة في توزيع الدخول، بالإضافة إلى فقدان المجتمعات الثقة في العديد من الإدارات الحكومية والمؤسسات الدولية على النحو الذي سنتناوله لاحقاً (ص. 25).

(14) تقدم أكثر من 3,3 مليون مواطن أمريكي للحصول على إعانات البطالة في بدايات الجائحة في فبراير عام 2020، وبنسبة 2 % من قوة العمل الأمريكية البالغة 164,6 مليون فرد ((Federal Reserve Bank of ST. Louis, 2020 ، وارتفع عدد المتقدمين للحصول على إعانات البطالة إلى نحو 6,7 مليون مواطن في إبريل عام 2020، وبنسبة 4,1 % من قوة العمل الأمريكية.

(15) كانت أكبر القطاعات تضرراً في الاقتصاد الأمريكي الخدمات السياحية؛ مثل الفنادق والمطاعم والأنشطة الترفيهية، وقطاعات الاستيراد والتصدير، وسلاسل التوريد السلعية.

(16) تجلى ضعف الدور المركزي للإدارة الحكومية في التنافس بين الولايات وشركات القطاع الخاص على مستلزمات التعقيم والكمامات وأجهزة الفحص الطبي، مما أدى إلى نفاذها من الأسواق وارتفاع أسعارها. الأمر الذي دفع الرئيس الأمريكي إلى اللجوء لـ «قانون الإنتاج الدفاعي» في مارس عام 2020، والذي يتم بموجبه إجبار الشركات الأمريكية على إنتاج السلع الأساسية بخلاف منتجاتها الأصلية، وبتوجيهات مباشرة من الحكومة الأمريكية (جريدة الشروق، 28 مارس 2020).

تصاعـد منحنى الإصابات المؤكدة والوفيات في الحالة الأمريكية، لتواجه الأنظمة الطبية خطر التهديد في ظـل انتشار الفيروس، مع استمرار التوقعات المؤكدة بزيـادة أعداد الإصابات والوفيات بالتزامن مع إصـرار الرئيس الامريكي علي عودة استئناف الأنشطة [17]. وربما يرجع إصرار الرئيس الأمريكي على استئنـاف النشاط إلى الضغوط والمطالبـات التي تمارسها الاحتكارات ورجـال الصناعة لعودة الحياة الطبيعية، في ظل معارضة من خبراء طبيين واقتصاديين بضرورة تبني استراتيجية مواجهة أكثر صرامة وجديـة [18]. وقد واجهت خطة الرئيس الأمريكي نحو إعادة بدء النشاط العديد من الانتقادات أهمها: التخلـي عن دعم أصحاب الدخول المحدودة، وإخفاء الحقائق، إعادة فتح الاقتصاد تحت دعوى الحرية والديمقراطية، تحصين الشركات من إجراءات التقاضي المحتملة من العاملين بهابدعوى مسئولية تلك الشـركات عن إصابة العاملين بها بالفيروس، تبنـي الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" تلك الإجراءات بهدف إعادة انتخابه لولاية ثانية في انتخابات نوفمبر عام 2020 [19].

ولم يختلف الأمر في بقية دول المجموعة الأولي المختارة للدراسة – الدول الأوروبية وإيران – من حيث السياق العام، وإن اختلفت في التفاصيل المؤدية إليه، وحجم وقدرات القطاع الطبي لمواجهة هذا النمط من الجوائح. ففي إيطاليا وإيران، ومع تسجيلهما للإصابات المؤكدة والوفيات الناجمة عن الفيروس منذ منتصف شهر فبراير عام (2020)، استمرت منحنيات الإصابات والوفيات في التنامي بشكل مضطرد، مع عدم الوصول إلى مرحلة التسطيح الكامل للمنحنيات حتى نهاية الفترة البحثية الشكلان رقم (1) ورقم (2): ص.(125). ووجهت دول الاتحاد الاوروبي اتهاماتها الى إيطاليا بالتراخي والعجز، وواجهت إيران في ذات الوقت الاتهامات من الدول الخليجية بالتسبب في تفشي الوباء لديها ، وسط عجز الإدارات الحكومية عن مواجهة الجائحة، وفي ظل ضعف واضح للأنظمة الطبية في الدولتين.

ولم تنج بقية الدول دول الاتحاد الأوروبي من تفشي الجائحة، فعلى الرغم من بدء تفشي الوباء

(17) قام الرئيس الأمريكي بالإعلان عن مبادئ توجيهية للبدء في خطة من ثلاث مراحل لرفع القيود المفروضة لاحتواء انتشار الفيروس، معلناً البدء في تنفيذها اعتباراً من مايو عام 2020 على مستوى كل من الأفراد والشركات (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، مرجع سبق ذكره : ص. 132- 134).

(18) اقترح الاقتصادي "بول رومر" الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد استراتيجية للاقتصاد الأمريكي للخروج من حالة الركود الناجمة عن الجائحة، بالاعتماد على اجراء الفحوص الطبية لكافة المواطنين دون انتظار ظهور الأعراض، لتحديد الأشخاص المصابين وعزلهم، وكذلك عزل جميع الأفراد المخالطين، وذلك بالاعتماد على أجهزة اختبارات تشخيصية حاسمة وسريعة. وتستند هذه الاستراتيجية على أنه بدون إجراء اختبارات كافية، ستكون المجتمعات أمام معضلة الاختيار بين إنقاذ الاقتصاد أو المخاطرة بحدوث وفيات كبيرة (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، مرجع سبق ذكره: ص. 34).

(19) مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، مرجع سبق ذكره: ص ص. 135- 138.

في إيطاليا منذ منتصف فبراير عام (2020)، وبداية ظهوره في أسبانيا من فبراير عام (2020) (الشكلان رقم (1)، ورقم(2) :ص.(125)، إلا أنها اتخذتا إجراءات الإغلاق المشدد في منتصف فبراير من ذات العام [20] . وقد أعلنت أسبانيا في نهاية إبريل عام 2020 خطتها التدريجية للخروج من عمليات الإغلاق المفروضة بسبب تفشي الجائحة [21] ، وذلك برغم عدم الوصول إلى مرحلة التسطيح شبه الكامل لمنحنى الإصابات والوفيات الناجمة عن الفيروس خلال هذه الفترة [22] .

وبالرغم من تسجيل فرنسا للإصابات الأولي في يناير عام (2020)، والوفيات الأولي في الشهر التالي من ذات العام الشكلان رقم (1)، ورقم(2) :ص .(125)، إلا أنها لم تتخذ إجراءات احترازية مشددة، ولكن اتبعت نهج الإجراءات التدريجية، التي اتسمت بالبطء والتأخر الشديدين [23]. واستمر تصاعد منحنى أعداد الإصابات في فرنسا حتى الوصول إلى مرحلة بدايات تسطيح المنحنى في أوائل مايو عام 2020، مما دفع السلطات الفرنسية إلى اتخاذ قرارات البدء في تخفيف إجراءات الإغلاق المشدد وإعادة فتح الأنشطة التجارية[24]. وهو النمط من الإجراءات التدريجية الذي لم يختلف كثيرا عن النهج الذي اتبعته بريطانيا، حيث الإجراءات الاحترازية الأقل صرامة في بدايات الأزمة منذ تسجيلهما للإصابات المؤكدة والوفيات الناجمة عن الفيروس في بدايات شهر

(20) برغم اتخاذ أسبانيا الإجراءات الاحترازية في وقت متأخر نسبياً مقارنةً بالصين، إلا أنها اتسمت بالصرامة والجدية في التنفيذ. وتمثلت أهم الإجراءات في إعلان حظر التجول، وحظر السفر والطيران، وغلق الحدود البرية، والإغلاق الكامل للمتاجر والمدارس والجامعات، ودور السينما والمسارح ، و إغلاق الشواطئ والمتنزهات والحدائق العامة.

(21) وفقاً للخطة المعلنة من مجلس الوزراء الإسباني، تم السماح للأطفال بمغادرة منازلهم مع والديهم لمدة ساعة يومياً اعتباراً من 25 إبريل عام 2020. كما سُمح للمواطنين بمغادرة منازلهم لممارسة الأنشطة الرياضية اعتباراً من 2 مايو عام 2020. وتم رفع الحظر عن الأنشطة التجارية، والسماح للمطاعم والصالات الرياضية بتقديم خدماتها اعتباراً من 4 مايو عام 2020. فضلاً عن فتح دور العبادة بشروط مشددة، وفتح الشركات الصغيرة ومراكز التسوق والفنادق ودور السينما والمسارح بثلث طاقتها اعتباراً من نهاية مايو عام 2020. في حين ظلت المدارس مغلقة حتى سبتمبر من ذات العام.

(22) مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، مرجع سبق ذكره: ص ص. 111- 112.

(23) تمثلت أهم الإجراءات الاحترازية الفرنسية في إعلان حظر التجول، وحظر السفر والطيران، والإغلاق المتاجر والمدارس والجامعات، وإغلاق الأنشطة الثقافية وتأجيل المهرجانات والفعاليات الثقافية والاجتماعية لآجال غير مسماه. فضلاً عن إغلاق الشواطئ والمتنزهات والحدائق العامة .

(24) أعلنت فرنسا البدء في تخفيف الإجراءات الاحترازية وعودة المدارس اعتباراً من 11 مايو عام 2020، وفتح المقاهي والمطاعم والخدمات السياحية الأخرى اعتباراً من 2 يونيو عام 2020. مع استمرار إغلاق الشواطئ والمتنزهات والحدائق (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، مرجع سبق ذكره: ص ص.(113- 114).

فبراير وشهر مارس عام 2020 على الترتيب[25] .

ولم يختلف الوضع كثيراً في روسيا بالتباطؤ في اتخاذ الإجراءات الاحترازية حتى نهاية مارس عام 2020، برغم بدء تسجيلها للإصابات في فبراير عام 2020(شكل رقم (1):ص (127). واستجابت الحكومة الروسية في مواجهة انتشار الفيروس بشكل أفضل نسبياً من الدول الأوروبية الأخرى، من خلال الحفاظ والاعتماد على قدراتها الاقتصادية والإنتاجية في مواجهة الجائحة، مع اتخاذ الإجراءات الاحترازية الملزمة وفي توقيتها المناسب، مما أعطاها أفضلية نسبية في مواجهة الفيروس مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى. وربما يرجع السبب في ذلك إلى امتلاك روسيا لاحتياطات من العملة الأجنبية، فضلاً عن هيكلها الاقتصادي المرتكز بالأساس على الصناعة والزراعة، اللذين ساهما في تغطية الاحتياجات المطلوبة من السلع الأساسية، وفي ظل سيطرة مركزية من الحكومة على القطاعات الإنتاجية.

وفي الحالة الألمانية، بدأ تسجيل الإصابات المؤكدة في فبراير عام (2020) الشكلان رقم (1) ورقم (2): ص.(125)، وبداية من منتصف شهر مارس عام (2020) تم اتخاذ الإجراءات الألمانية الأشد صرامة والأسرع استجابةً على مستوى الاتحاد الأوروبي في مواجهة الفيروس[26] ،مما ساهم في الحفاظ على المنظومة الطبية الألمانية وقدرتها على مواجهة الإصابات بالفيروس. فضلاً عن طرح الحكومة الألمانية حزم الإنقاذ الاقتصادي والمالي بقيمة حوالي (550) مليار يورو، والتي تضمنت تدابير لإقراض الشركات، والحصول على حصص في الشركات، بالإضافة إلى دعم العاملين في مواجهة الخسائر المادية والاضطرابات النفسية الناجمة عن تفشى الجائحة[27] . ومع بدايات الوصول إلى حالة تسطيح منحنى الإصابات المؤكدة والوفيات الناجمة عن تفشي الفيروس في ألمانيا الشكلان رقم (1) ورقم (2): ص.(127)، بدأت الحكومة الألمانية في تخفيف الإجراءات الاحترازية اعتبارا من أواخر إبريل عام 2020 [28] ، في ظل مخاوف شبه مؤكدة من تفشي الموجة الثانية للمرض، والاستعداد لمواجهتها.

(25) مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، مرجع سبق ذكره : ص. 114.

(26) اتخذت الحكومة الألمانية قرارات الإغلاق المشدد لكل الشركات في ألمانيا اعتباراً من 16 مارس عام 2020. فضلاً عن تمديد تدابير التباعد الاجتماعي الصارم بالحفاظ على المسافات بين الأفراد بما لا يقل عن 1,5 متر، وقصر التجمعات العامة على شخصين فقط باستثناء أفراد الأسرة الواحدة. فضلاً عن حظر التجمعات الدينية، وحظر السفر وإغلاق الحدود البرية، وحظر التجمعات والفعاليات الثقافية والجماهيرية حتى 31 أغسطس عام 2020، ولحين إشعار آخر.

(27) مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)، مرجع سبق ذكره، ص ص. 116- 120.

(28) سمحت الحكومة الألمانية بإعادة فتح الشركات الصغيرة وذلك بعد مرور حوالى شهر من عملية الإغلاق المشدد، كما سمحت بعودة المدارس اعتباراً من 4 مايو عام 2020 مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة. فضلاً عن السماح بإعادة فتح الأنشطة التجارية التي لا تتجاوز مساحتها عن 800 م2.

وهكذا لم تسلك الدول الأوروبية نهجاً متماثلاً في التعامل مع الجائحة، وإن اتفقت في أسلوب تطبيق الإجراءات الاحترازية التدريجية، والبطء النسبي في اتخاذ القرار، الأمر الذي قد يكون أحد أسباب سرعة تفشي الجائحة. ويشير الواقع أن كل دولة في الاتحاد الأوروبي تعاملت مع الجائحة بشكل منفرد، مما عزز من التوجه نحو إحياء دور الدولة القومية، وتعزيز فكرة الحدود الوطنية. فضلاً عن فرض الدول إجراءات مشددة قد لا تتفق في ظاهرها مع السياسات الديمقراطية والحريات الفردية، وفي ظل تنامي مخاوف من اتخاذ الأنظمة السياسية من تفشي الجائحة ذريعة لتشديد قبضتها السياسية على المجتمعات. الأمر الذي يحمل في طياته التهديد الوجودي لكيان الاتحاد الأوروبي بنسقه السياسي الحالي.

وفي ذات السياق، لا يختلف النهج المتبع من دول المجموعة الثانية المختارة من الدول العربية والسابق الإشارة إليها ص.(124) عن النهج الذي اتبعته الدول الأوروبية، من حيث الإجراءات الاحترازية المشددة، وفرض حظر التجول الجزئي، وكذلك التأخر النسبي في اتخاذ وتنفيذ تلك الإجراءات منذ توفر المعلومات المؤكدة عن تفشي الجائحة، الأمر الذي يمكن معه وصف وتقييم تلك الإجراءات في مواجهة صدمة الجائحة، ومحاولة التكيف مع تداعياتها بشكل يتصف بالتراخي وضعف الفعالية والكفاءة في مجموعتي الدول المختارة السابق الإشارة إليهما (ص.124)، و يوضح الشكلان رقم (3) ورقم (4) تطور أعداد الإصابات والوفيات في المجموعة الثانية من الدول المختارة، خلال الفترة من منتصف يناير عام 2020 وحتى يونيو من ذات العام.

شكل رقم (3)

تطورإجمالي أعداد الإصابات المؤكدة بفيروس Covid-19 خلال الفترة 11 يناير 2020 حتى 5 يونيو 2020

(عينة مختارة من الدول العربية)

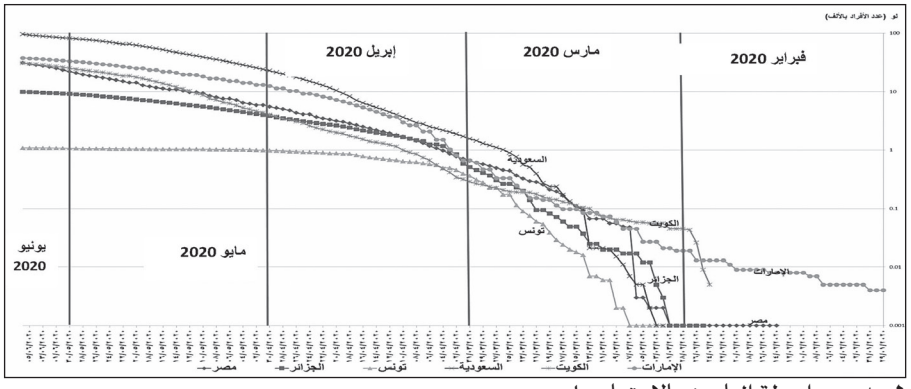

المصدر: بواسطة الباحث بالاعتماد على:

- World Health Organization (WHO), last retrieved: 6 June 2020, from: https://covid19.who.int/

شكل رقم (4)

تطورإجمالي أعداد الوفيات بفيروس Covid-19 خلال الفترة 11 يناير 2020 حتى 5 يونيو 2020

(عينة مختارة من الدول)

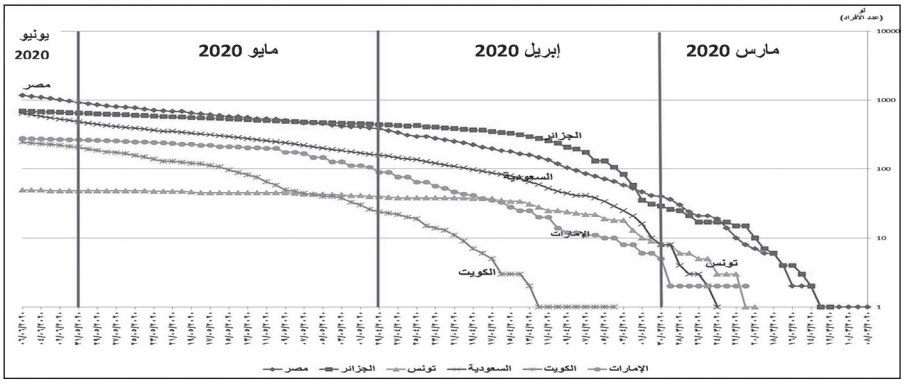

المصدر: بواسطة الباحث بالاعتماد على:

- World Health Organization (WHO), last retrieved: 6 June 2020, from: https://covid19.who.int/

يتضـح من الشكل السابق رقم (3) بدء تسجيل الإصابات المؤكدة في الدول العربية المختارة للدراسة في الإمـارات مـن نهاية شهر يناير عام (2020)، بينما بدأ تسجيـل الإصابات من منتصف شهر فبراير مـن ذات العـام في كل من مصـر والكويت. وبالرغم من بـدء ظهور الإصابات المؤكـدة، والضعف النسبي

للمنظومة الطبية؛ وبالأخص في الدول العربية الشمال أفريقية محل البحث؛ مصر وتونس والجزائر، فإن الإجراءات الاحترازية المشددة لم يتم اتخاذها آنياً لمواجهة تطورات أعداد الإصابات، وبالرغم من المعلومات المؤكدة عن تفشي (COVID-19) في الصين منذ ديسمبر (2019)، وبدء التفشي الواضح للفيروس في أوروبا وأمريكا الشمالية وإيران بداية من يناير عام 2020. الأمر الذي أدى إلى تفشي الإصابات المؤكدة في دول المجموعة الثانية من الدراسة، فضلاً عن بدء تسجيل الوفيات الناجمة عن الفيروس (COVID-19) في الدول العربية المختارة للدراسة بدءاً من شهر مارس عام (2020)، حيث بدأ تسجيل الوفيات في مصر والجزائر في النصف الأول من شهر مارس، وتونس والإمارات والسعودية في النصف الثاني من ذات الشهر، بينما كان تسجيل أول الوفيات في الكويت في شهر إبريل من ذات العام (شكل رقم (4))، الأمر الذي يمكن معه توجيه النقد إلى الإدارات الحكومية في هذه الدول بالبطء وضعف الاستجابة والمرونة في مواجهة صدمة تفشي الجائحة.

وابتداء من منتصف شهر مارس عام (2020)، بدأت الحكومات العربية في اتخاذ القرارات الاحترازية، مع اختلاف تطبيقها من حيث الإلزامية والجدية. فقد تم تطبيق الإغلاق التام للحدود وإيقاف حركة الطيران، فضلاً عن فرض حظر التجول الجزئي في دول مصر الجزائر وتونس، وتشديد الحظر في السعودية والكويت والإمارات. وتم إيقاف رحلات العمرة إلى الأماكن المقدسة بالسعودية، وحظر السفر عبر الطرق الرئيسية، ومنع الانتقال بين المدن في الكويت والسعودية والإمارات ، وإغلاق المساجد وإلغاء التجمعات والفعاليات الاجتماعية والثقافية، وإغلاق الأنشطة الترفيهية والسياحية وتعطيل الدراسة بالجامعات والمدارس وكافة الأنشطة الأخرى التي تضم تجمعات جماهيرية.

وانتهجت دول الخليج المشار إليها؛ السعودية والكويت والإمارات، تطبيق نهج الفحوص الطبية واسعة المدى على غالبية السكان للكشف عن المصابين بـ (COVID-19) وعزلهم، ومتابعة المخالطين لهم. فضلاً عن الإعلان اليومي عن أماكن الإصابات واعدادها في المدن، والاستعداد الجاد نحو إغلاق ما يحتمل أن تكون بؤرةلتفشي الجائحة، ساعدها في ذلك الإمكانيات المادية التي تم توفيرها لمواجهة تداعيات الجائحة على المصابين والمخالطين والمتضررين، فضلاً عن المنظومة الطبية القوية نسبياً التي تمتلكها هذه الدول. الأمر الذي أدي إلى السيطرة نسبياً على أعداد الإصابات والوفيات، بالرغم من عدم وصول منحنى الإصابة والوفيات الناجمة إلى مرحلة "تسطيح المنحنى" الكامل، ولكن أعطى هذا النهج المصداقية في أعداد الإصابات والوفيات المعلنة، وكذلك الشفافية في قرارات الإجراءات الاحترازية المتخذة.

ومن جهة أخري، لم تستطع الدول العربية الشمال أفريقية المختارة للدراسة؛ تونس ومصر االجزائر، الوصول إلى مرحلة "تسطيح المنحنى" للإصابات المؤكدة والوفيات الناجمة عن (CO-VID-19) عدا تونس، والتي استطاعت الوصول إلى تلك المرحلة بداية من منتصف إبريل عام (2020) الشكلان رقم (3)، ورقم (4): ص ص.(135)، وربما يرجع السبب في ذلك إلى جدية

المنظومـة الطبية المقبولة نسبياً في تونس، فضلاً عن عدد السكان الأقل نسبياً مقارنةً بالدول العربية الأخـرى، ممـا سمح للسلطـات الحكوميـة بإمكانية تطبيق الحظـر الكلي والإجـراءات الاحترازية بكفـاءة وفعالية، فضلاً عن الوعي والالتزام من المواطنين التونسيين بالإجراءات المفروضة. أخذاً في الاعتبـار صعوبة التحقق من مصداقية أعداد الإصابات والوفيات المعلنة، في ظل محدودية الفحوص والاختبارات الطبية لكافة السكان.

ولم يختلـف النهـج الذي اتبعتـه كل من مصـر والجزائـر في مواجهة الفيروس، مـن محدودية الفحوصـ الطبية، والاكتفاء بفحص المشتبهبإصابتهـم بحسب درجة ظهور الأعراض عليهم. فضلاً عـن البطء النسبي في تنفيذ الإجـراءات الاحترازية المشددة، الأمر الذي أدى إلى ضعف فعالية تلك الإجـراءات عند اتخاذهـا. ففي الجزائر وبرغم اتخـاذ الإجراءات الاحترازيـة المشددة منذ ظهور الوفيـات الناجمة عن (COVID-19) في مارس عـام (2020)، إلا أنها لم تستطع الوصول إلى مرحلـة "تسطيح المنحنى" للإصابات والوفيات حتى نهاية الفـترة البحثية في يونيو عام (2020) (شكل رقم (4): ص.(135). ويمكن إرجاع السبب في ذلك إلى الضعف النسبي للمنظومة الطبية، فضلاً عن الإمكانيات المادية الضعيفة وصعوبة توفير المعدات والمستلزمات الطبية، وكذلك محدودية الفحوصـ والاختبـارات الطبيـة، الأمر الـذي يُفتقد معـه المصداقيـة والشفافية في كل مـن أعداد الإصابات والوفيات المعلنة، وكذلك في الإجراءات الاحترازية المتخذة.

وفي الحالـة المصريـة، بدأت الحكومـة في تطبيق الإجـراءات الاحترازية والإغـلاق اعتباراً من تسجيـل الوفيات الناجمة عن(COVID-19) في منتصف مارس عام (2020) شكل رقم (4): ص. (135)، ومن أهم تلك الإجراءات: تعليق الدراسة بالمدارس والجامعات، تعليق حركة الطيران في جميـع المطـارات المصريـة، فرضـ حظر التجـوال وتوقف جميـع وسائل النقل الجماعـي العامة والخاصـة وحظر انتقال المواطنين على جميع الطـرق العامة من الساعة الثامنة مساءً وحتى الساعة السادسة صباحاً، تخفيض أعداد العاملين بوحدات الجهاز الإداري للدولة [29]،بالإضافة إلى اتخاذ بعضـ القـرارات الاقتصاديـة لتخفيف آثار أزمة انتشـار الفيروس في مصـر [30] . وقد ساهمت كل الإدارات الحكوميـة المصريـة في مواجهة الجائحة وامتصاص صدمتها بحسـب دورها وإجراءاتها؛

(29) قرار رئيس مجلس الوزراء رقم (719) لسنة (2020) بشأن اتخاذ التدابير الاحترازية اللازمة لتخفيض أعداد العاملين بوحدات الجهاز الإداري للدولة (الجريدة الرسمية، العدد (11) مكرر هـ، مارس (2020).

(30) مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (b) . الأزمات في نقاط: من الحظر إلى التعايش، فيروس كورونا المستجد (COVID-19 Disease)، السنة 1، العدد 2 . مايو (2020):ص. (12).

ومن أهمها: وزارة المالية [31]، البنك المركزي المصري[32]، وزارة السياحة [33]، وزارة القوى العاملة [34]، القوات المسلحة المصرية [35]. فضلاً عن الدور التقليدي لوزارة الصحة المصرية، باعتبارها المواجه الرئيس لـ (COVID-19).

ويُثـار التسـاؤل في الحالـة المصرية تحديداً عن مدى كفـاءة القرارات المتخـذة، الاجتماعية منها والطبيـة، خاصـةً علـى مستوى الإجـراءات التنفيذيـة، وفي ظل حدة التفـاوت في المستويـات الثقافية والتعليميـة بين الفئات الاجتماعية المهمشة. فالأمر لا يتوقـف فقط على اتخاذ القرارات، ولكن يتوقف الجانـب الأهم في تحديد آليات التنفيذ وفقاً لمعطيـات الأمور وظروف المجتمع. كما يُطرح التساؤل عن مستويـات الإنفـاق العام على مجـالات البحث والتطوير وصناعـات الدواء والأمصـال واللقاحات في

(31) من الإجراءات التي اتخذتها وزارة المالية المصرية منح التسهيلات الضريبية للشركات العاملة في عشرة قطاعات متضررة، مساندة المصدرين لتعظيم قدراتهم الإنتاجية، مبادرة مساندة قطاع السياحة والمنشآت الفندقية للوفاء بمرتبات العاملين بها، تعزيز الإجراءات الداعمة لمجتمع الأعمال، فضلاً عن إتاحة 12,5 مليار جنيه للهيئات السلعية والخدمية خلال شهري مارس وإبريل عام 2020 (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (b)، مرجع سبق ذكره: ص. 18).

(32) من الاجراءات التي أتخذها البنك المركزي المصري إعفاء البنوك لمدة عام من احتساب متطلب زيادة في رأس المال الرقابي لمقابلة مخاطر التركز الائتماني لأكبر 50 عميل، وتعديل القواعد المنظمة لنظام تسجيل الائتمان بالبنك المركزي، والمشاركة في اجتماعات مجالس إدارات البنوك عبر الفيديو، فضلاً عن مبادرات دعم العملاء والقطاع الخاص الصناعي والزراعي، ومبادرات دعم قطاع السياحة (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء المصري (b) ، مرجع سبق ذكره: ص. 18).

(33) من أهم الاجراءات التي اتخذتها وزارة السياحة المصرية تأجيل سداد وإعادة جدولة المديونيات والمستحقات عن مقابل استهلاك الكهرباء والمياه والغاز للمنشآت السياحية والفندقية وشركات الطيران الخاصة لمدة ستة أشهر بالتنسيق مع الوزارات المعنية، وإسقاط الضريبة العقارية عن المنشآت الفندقية والسياحية لمدة ستة اشهر، وإعفاء كافة البازارات والكافيتريات في المواقع الأثرية من سداد الإيجارات، فضلاً عن تخفيض سعر الفائدة عن القروض على التشغيل من 8 % إلى 5 % (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (b)، مرجع سبق ذكره: ص. 15).

(34) من أهم الاجراءات التي اتخذتها وزارة القوي العاملة المصرية صرف منحة قدرها 500 جنيه شهرياً للعمالة غير المنتظمة ولمدة ثلاثة أشهر، وكذلك صرف مرتبات العمالة المنتظمة بقطاع السياحة من صندوق صرف الإعانات (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (b)، مرجع سبق ذكره : ص. 19).

(35) من أهم الاجراءات التي اتخذتها القوات المسلحة المصرية في دعم القطاع المدني لمواجهة الجائحة ما يلي: إصدار الأوامر لإدارة الحرب الكيماوية بالقوات المسلحة باتخاذ إجراءات التطهير والتعقيم للمقار الحكومية المختلفة والمنشآت الدينية والجامعات والأسواق التجارية ومحطات القطارات والمترو والنقل الجماعي، والمساهمة في توفير الاحتياجات الأساسية للمواطنين والقطاع المدني لمواجهة الجائحة مثل: توفير الكمامات الطبية وتوزيعها على المواطنين بالأماكن العامة والميادين الرئيسية، تدبير أجهزة ومستلزمات طبية وأدوية بالتنسيق بين القوات المسلحة ووزارة الصحة والهيئة المصرية للشراء الموحد والإمداد الطبي، إنتاج مواد التطهير والتعقيم، وإنشاء ست مستشفيات ميدانية، وتجهيز 100 سيارة إسعاف، فضلاً عن قيام الهيئة الهندسية برفع كفاءة عدد من المدن الجامعية لاستخدامها لعزل الحالات المصابة والقادمين من الخارج (مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (b)، مرجع سبق ذكره: ص ص . 13-14).

مصـر، ومدى كفاءة الإنفاق العام المخصص لهذه المجـالات في تحقيق المستهدف منه، وتأثيرات ذلك المباشر وغير المباشر في دعم القدرات الوطنية على مواجهة هذا النمط من الجوائح.

وبرغـم تلك القرارات المتخذة في الحالـة المصرية، التي يمكن وصفها بالفاعلـة مرحلياً، فأنها لم تنجـح في الوصـول إلى مرحلة "تسطيـح المنحنى" المستهدفـة لمنحنيات الإصابـات والوفيات الناجمة عـن جائحة (COVID-19) ، وربما يرجع السبب في ذلـك التأخر النسبي في تنفيذ تلك القرارات وتضاربها أحياناً، فضلا عن ضعف المنظومة الطبية وعدم قدرتها على مواجهة هذا النوع من الجوائح، بالإضافـة إلى غيـاب الالتـزام والوعـي عن أطياف مـن المجتمع المصـري؛ بسبب ضعـف المنظومتين الإعلاميـة والتعليميـة، وكذلـك بسبب ارتفاع نسب الفقـر في المجتمع المصـري، وبالأخص في المناطق الريفية والمهمشة. فضلاً عن ضعف التنسيق بين القطاعين العسكري والمدني في تنفيذ إجراءات مواجهة الجائحة، باعتبار أن المأمول من القطاع العسكري بإمكانياته تعويض أوجه القصور في المنظومة المدنية لمواجهة هذا النوع من الكوارث. ويمكن إرجاع السبب في ضعف التنسيق بين القطاعين العسكري

والمدني في مواجهة الجائحة إلى التهديدات الإقليمية التي تواجهها مصر[36] ، الأمر الذي استلزم ترشيد جهود القوات المسلحة بإفساح المجال للوزارات المدنية؛ وبالأخص وزارتي الصحة والداخلية، للقيام بالدور الرئيس في مواجهة تداعيات الجائحة الصحية، وتنفيذ الإجراءات الاحترازية وحظر التجول.

وبالرغم من عدم قدرة الدول العربية محل الدراسة في الوصول إلى مرحلة "التسطيح الكامل" لمنحنيات الإصابات المؤكدة والوفيات الناجمة عن (COVID-19) – باستثناء تونس– فأنها اتخذت نهج تخفيف الاجراءات الاحترازية ابتداء من منتصف يونيو وأوائل يوليو عام (2020) ، بتخفيف إجراءات حظر التجول، وإعادة فتح الأنشطة السياحية والترفيهية بنسب تتراوح بين الربع والثلث من طاقتها الاستيعابية، فضلاً عن إعادة حركة الطيران وفتح دور العبادة، والسماح بممارسة الشعائر الدينية، فضلا عن رفع التعليق جزئياً عن الأنشطة التعليمية. وهو ربما تسارع قد يكون غير محسوب

(36) تواجه مصر تحديات وتهديدات إقليمية خطيرة على ثلاثة من حدودها، استدعت رفع درجة الاستعداد داخل القوات المسلحة المصرية. فمن الجهة الشرقية تنفذ القوات المسلحة "العملية العسكرية الشاملة" لتطهير سيناء من الجماعات الإرهابية. ومن الجهة الغربية، تشهد مصر تهديداً عسكرياً استراتيجياً بالتدخل العسكري التركي في ليبيا. ومن الجهة الجنوبية، تشهد مصر تهديد وجودي متمثل في إنشاء أثيوبيا "سد النهضة" على نهر النيل، وبدء اتخاذ أثيوبيا إجراءات أحادية الجانب لتخزين مياه الفيضان خلف السد، لتشكل تهديداً واضحاً لكل من مصر والسودان. فضلاً عن ضرورة تأمين الحدود الشمالية المصرية المطلة على ساحل البحر المتوسط بهدف تأمين حقول الغاز المكتشفة.

نحو تخفيف الإجراءات، قد يكون مدفوعاً بالتخوف من التأثيرات الاجتماعية والسياسية السلبية الناشئة عن طول فترات حظر التجول. ويمكن القول، أن الاندفاع في إعادة فتح الأنشطة سيؤدي إلى ظهور دورات لتفشي الفيروس وتحوره، وخاصةً مع إعادة حركة الطيران، ودون تطبيق سياسة واضحة المعالم للإجراءات الاحترازية والفحوص الطبية لكافة السكان. الأمر الذي ينذر بتعميق الأزمات؛ الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

2. تفسير تداعيات جائحة (COVID-19) في إطار النظرية العامة للأنساق:

نتناول هنا تحليل تداعيات جائحة (COVID-19)، في إطار النظرة الكلية للاقتصاد العالمي، وفي إطار النظرية العامة للأنساق السابق الإشارة إليها (ص.3)، ومن منظور الأنساق الوظيفية التي تشكل النظام الاقتصادي العالمي وتتفاعل معه، وفي ظل الارتباط العضوي القائم بينها، هذه الأنساق هي: النسق الاقتصادي، والنسق السياسي، والنسق الاجتماعي. مع الإشارة ضمناً إلى النسق التأريخي في سياقه.

1 - النسق الاقتصادي:

نتناول هنا تحليل النسق الاقتصادي المفسر لتداعيات جائحة (COVID-19)، أخذاً في الاعتبار ارتباطه العضوي بالنسق السياسي ص ص.(18-20)، والنسق الاجتماعي المؤثر والمتأثر بهما ص ص.(20-22).

وفي ظل تطورات الجائحة وتداعياتها السابق عرضها ص ص. (4-14)، يمكن إلقاء الضوء على وضع الأفضلية النسبية للدول محل الدراسة في مواجهة جائحة (COVID-19). حيث تعتبر الصين في وضع أفضل نسبياً في مواجهة الجائحة، ويمكن إرجاع السبب في ذلك إلى قوة الدولة ومركزيتها نسبياً، فضلاً عن سرعة استجابة النظم السياسية والاقتصادية والصحية والإنتاجية لخطر الجائحة. وعلى النقيض من ذلك نجد حالتي إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة الأخيرة التي أصبحت في وضع شديد الصعوبة بسبب الجائحة[37].

وفي إطار النسق الاقتصادي؛ تظهر المشكلة الأساسية وهي العجز عن إدراك طبيعة الجائحة ومواجهة

(37) كان تحرك الرئيس الأمريكي "ترامب" وقادة دول أوروبا بطيئاً نسبياً في مواجهة الجائحة، بالرغم من توافر المعلومات. ويمكن إرجاع هذا التحرك البطيء نسبياً إلى التخوف من الخسائر الناجمة عن اتخاذ إجراءات العزل الاجتماعي وحظر التجول، وإغلاق المؤسسات والشركات وتعطيل مناحي الحياة العامة. وهكذا تجلت المشكلة الناشئة عن جائحة (COVID-19) وتداعياتها، ليس فقط في الفيروس ذاته أو انتشاره، ولكن باعتبار الجائحة ظرفاً كاشفاً عن العجز الواضح في مواجهة التداعيات الناشئة عنها.

تداعياتها، وعجز السياسات الاقتصادية النيوليبرالية والنظم الطبية والاقتصادية عن مواجهة هذا النمط من الجوائح، في ظل الاعتماد المتنامي على الاحتكارات والشركات متعددة الجنسيات، والتخلي الواضح عن دور الدولة في تحديد مسارات الإنتاج. فقد اتجهت هذه الاحتكارات مدفوعة بحافز الربح نحو تصنيع المستلزمات والمنتجات الأكثر ربحية، بدلاً من إيجاد لقاح أو علاجات ناجعة للأوبئة والجوائح المحتملة، وبرغم إدراكها المسبق باحتمالية تفشي الجوائح منذ تفشي متلازمتي الالتهاب الرئوي الحاد والشرق الأوسط التنفسية السابق الإشارة إليهما ص. (121)، وخاصةً في ظل التطورات الجينية المؤكدة لسلالات الفيروس. لقد تراخت هذه الاحتكارات عن تصنيع العلاجات أو اللقاحات المطلوبة في الوقت المطلوب،أوحتى محاولة الاستعداد لهذا الحدث. وبالتالي خضعت مقدرات البشرية ومصير المجتمعات إلى تلك الاحتكارات، وفي ظل تشجيع متنامي من الحكومات نحو تعميق السياسات النيوليبرالية، فضلاً عن التراجع الواضح في الدور المنوط أداؤه من الإدارات الحكومية، هذا التراجع الذي أدى إلى توجيه اتهامات بالتواطؤ المتعمد وغير المتعمد للإدارات الحكومية والمؤسسات الدولية؛ الطبية والاقتصادية والسياسية. فكان تجلي الأزمة في مواجهة صدمة جائحة (COVID-19).

ومع تفاقم جائحة (COVID-19)، تم اتخاذ إجراءات استثنائية طبقتها الحكومات، وأهمها إغلاق الحدود، وفرض حظر التجول بدرجات متفاوتة. وجاءت هذه الإجراءات متأخرة نسبياً من حيث توقيت اتخاذها، مما حد من فعاليتها وكفاءتها في إيقاف تفشي المرض. الأمر الذي دفع العديد من الإدارات الحكومية إلى استخدام القدرات العسكرية في تطبيق إجراءات العزل وحظر التجوال وبناء المستشفيات الميدانية، وإلزام الشركات بإنتاج أجهزة التنفس الصناعي واحتياجات القطاع الطبي من المستلزمات الطبية، في تراجع استثنائي ومرحلي عن السياسات النيوليبرالية وظاهرة العولمة[38]. ليشهد العالم تجدد الصراع التأريخي بين الدولة القومية والاحتكارات متعددة الجنسيات، وذلك في إطار نسق الاقتصاد العالمي الحالي، وأخذاً في الاعتبار الارتباط العضوي بين النسق الاقتصادي والنسقين السياسي والاجتماعي، لتشكل الأنساق الثلاثة وحدة متكاملة في تحديد اتجاهات وتطورات الجائحة في المدى قصير الأجل والمدى طويل الأجل.

وفي سياق الإشارة الضمنية إلى النسق التأريخي كما سبق الإشارة ص. (136)، يمكن القول أن القرن العشرين وما قبله قد شهد العديد من الكوارث والأوبئة التي راح ضحيتها ملايين البشر. فضلاً عن الحروب التي صنعها الإنسان، ومن أقساها الحربين العالميتين في القرن العشرين (لمزيد

(38) لجأ الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" إلى قانون الإنتاج الدفاعي Defense Production Act of 1950، الذى يمنح لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية سلطات استثنائية تسمح لحكومته بإعطاء الأمر المباشر لتغيير السلع التي تنتجها المصانع، وتأميم الشركات، ووضع إمكانياتها تحت سيطرة الحكومات الفيدرالية.

مـن التفاصيـل أنظر الجدولين رقم (م-1)، (م-2) : ص ص. (164- 167). وقد كانت الأهداف الاقتصادية هي الغالبة في تفسير نشوء الحربين العالميتين، والتي انتهت ثانيهما بإلقاء القنبلة الذرية علـى هيروشيمـا وناجازاكـي في اليابان عام (1945). ومنـذ ذلك التأريخ، استمـر استخدام الإنفاق العسكـري وتسليـع التحركات العسكرية لخدمة المصالح الاقتصاديـة، وعلى حساب الخدمات المعنية بالاحتياجـات الإنسانيـة والتنمية البشرية. وتنامـي التطور التكنولوجي في مجـال الإنتاج العسكري، وانتقـل منـه بقدرٍ محسوب إلى المجـالات المدنية، وظل التطـور المتنامي والتنوع في مجـالات التسليح والإنتـاج العسكري يهددان البشرية. فضلاً عن نشوء سياسـات العولمة كعامل حاكم في خلق الاعتماد المتبـادل وتشابـكات المصالـح الاقتصادية بـين الدول مـن جهة، وبين الـدول والاحتـكارات متعددة الجنسيـات – خاصةً الشركات العاملة في مجال الإنتاج العسكري- من جهة أخري، الأمر الذي يعني تزايد خطورة الانتشار الآني للأزمات الاقتصادية [39].

واقـترن صعـود تلك الاحتـكارات منذ انتهاء الحـرب العالمية الثانيـة بزيادة نفوذهـا وسيطرتها على مختلـف المجالات بهدف تحقيق الأرباح. واستخدمت هذه الاحتكارات كافة الوسائل لتحقيق دافع أقصي أربـاح، بغض النظـر عن طبيعة تلك الوسائل أو تأثيراتها، أو مدى الاحتيـاج المجتمعي لها [40]. فالهدف واضـح لتلك الشركات وهو تحقيق أقصى ربح، بغض النظر عـن كيفية تحقيقه. فضلا عن تنامي دورها لتصبـح منافساً أساسياً لدور الدولة القومية، ومتسقاً مـع سياساتها النيوليبرالية، وبشكل مؤثر على قوة ونفـوذ الدول والحكومات. وهو ما سنتناوله في النسق السياسي لتداعيات الجائحة من تراجع دور الدولة لصالح صعود هذا النمط من الاحتكارات (ص ص.140- 141).

واتخـذت الاحتـكارات والشركات متعددة الجنسيات من نفوذهـا وسيطرتها على وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي وسيلة لخلق نمط الاستهلاك المجتمعي الذي يتسق مع هدفها ودافعها الرئيس؛ دافـع الربـح. حيث استطاعت تلـك الشركات بفعل العولمـة تخليق "وهم الطلب" لـدى المستهلكين بإثارة النواحي السيكولوجية لديهم وبث مشاعر الخوف، بهدف خلق الحاجة للأمن والأمان، وحفز

(39) محمد رمضان محمد الزيني، أثر الإنفاق العسكري على النمو الاقتصادي. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، (2019) : ص ص.(165- 180).

(40) استخدمت الشركات متعددة الجنسيات كافة الوسائل التقليدية وغير التقليدية في خلق وتقوية وتعزيز النمط الاستهلاكي الذي يخدم تحقيقها لأقصى أرباح، من خلال إقناع المستهلكين بحتمية الاستحواذ على السلع المنتجة لتهدئة المخاوف والشعور بالأمان، أو لمحاكاة الطبقات المتفاوتة داخل المجتمع الواحد، أو المحاكاة مع المجتمعات الأخرى. واستخدمت الاحتكارات التسويق لمختلف أنواع السلع الاستهلاكية لتعزيز ذلك النمط الاستهلاكي المخلق، فضلاً عن دفع الإنتاج والترويج للمنتجات العسكرية ذات التطورات التكنولوجية المتسارعة (لمزيد من التفاصيل أنظر: جلال أمين، تجديد جورج أورويل: أو ماذا حدث للعالم منذ (1950)، القاهرة: الكرمة للنشر، الطبعة الثالثة،(2006): ص ص. (81- 84).

الرغبة في إشباع الحاجات. واستهدفت تلك الاحتكارات خلق الطلب على السلع والخدمات المنتجة، بغض النظر عن أولويات الإنتاج من المنظور المجتمعي والإنساني، في ظل الدافع الرئيس والمحرك لتلك الشركات؛ دافع الربح [41].

وفي ظل تخليق الطلب على السلع والخدمات غير الضرورية والأكثر ربحية، تضاعفت القدرة على إنتاج مختلف السلع والخدمات، مع تنامي الإنتاج في السلع الأقل أهمية نسبياً للإنسانية، أي ابتعاد الإنتاج عن الضروريات، والتوجه نحو السلع الأقل ضرورة لربحيتها المتزايدة، مع غياب التحديد الأمثل والواضح للأولويات والضروريات [42]. وفي ظل دافع الربح، ومستويات الطلب المتنامي على تلك السلع والخدمات، استطاع المنتجون رفع وتحديد أسعار تلك السلع والخدمات عند مستويات عالية، لا علاقة لها بنفقات الإنتاج الحقيقية. واقترنت قدرة المنتجين على رفع الأسعار بخلق الوهم – وتحديداً "التهويمات المخلقة" – لدى المستهلكين؛ بأن السلع غير الضرورية المنتجة أصبحت أحد أهم أساسيات الحياة المجتمعية. وهو ما يعني تدخل المنتجين ونجاحهم في تشكيل سيكولوجية المستهلك، وتطويعها لخلق الطلب. الأمر الذي لا يعني فقط غرس ثقافة الاستهلاك في المجتمعات، بل يتجاوزه لغرس نمط مجتمعي استهلاكي وهو "النهم الاستهلاكي" غير المبرر وغير الكفء [43].

وعلى مدى العقود الثلاث الأخيرة من القرن العشرين، تمت إعادة هيكلة الاقتصاد العالمي من نموذج اقتصادي مرتكز على الدولة (State Centric)، وقائم على أنظمة الرفاه الاجتماعية، إلى النموذج النيوليبرالي أو الليبرالية الجديدة [44]. وفي ظل الليبرالية الجديدة (النيوليبرالية)،

(41) جلال أمين، تجديد جورج أورويل...، مرجع سبق ذكره: ص ص .(202- 203).

(42) ولتعزيز ذلك الهدف وضمان تحقيق أقصى أرباح، أصبح من الضروري التحكم في إرادة المستهلك وتشكيلها، بل وتجاوز ذلك بتشكيل الفعل الجمعي للمستهلكين في المجتمعات، وذلك بهدف إقناعهم بالنمط الاستهلاكي المستهدف، وإيهامهم بضروريته، وتسويق وتصريف فائض الإنتاج، وخلق الأرباح. هذا التحكم في الإرادة الذي مارسته الشركات من خلال منظومة الإعلان ووسائل الإعلام. فضلاً عن السيطرة والتحكم في أنماط التكنولوجيا المختلفة، ووسائل التواصل الاجتماعي، ومن ثم دفع الطلب على السلع والخدمات المنتجة من الاحتكارات إلى مستويات مرتفعة.

(43) يتخلى المستهلك في ظل مفهوم " النهم الاستهلاكي" عن السلع القديمة بدعوى أنها أقل تكنولوجياً، أو لعدم مواكبتها لمقتضيات العصر الحديث. فيخلق ويغذي ذلك الطلب على السلع لمجرد المحاكاة لأفراد المجتمع الآخرين، أو تقليداً لنمط الحياة الاستهلاكية في المجتمعات الأخرى (أثر المحاكاة)، بغض النظر عن تفاوت مستويات الدخول، وبصرف النظر عن اختلاف مستويات الرشادة في الاستهلاك. ويبذل المستهلك طاقته، ويدفع في مقابل الحصول على تلك السلع والخدمات ما يحصل عليه من دخل، بل ويتجاوزه أحياناً إلى مستويات أعلى من دخله المحقق، وأحياناً أعلى من قدرته على الحصول عليه، ليقع في فخ الديون، وأحياناً ديمومتها.

(44) بدأ صعود النيوليبرالية الحاسم في عام (1979)، عندما تولت "مارجريت تاتشر" المؤيدة للنيوليبرالية رئاسة وزراء المملكة المتحدة، وتولي " رونالد ريجان" رئاسة وزراء الولايات المتحدة الأمريكية في عام (1980)، لتصبح بريطانيا

تم هندسةالنظـم الاقتصادية وفقـاً لعلاقات السوق، سواء داخل الـدول أو فيما بينها. وتمت صياغة النظـام الاقتصادي العالمي في إطـار السياسات النيوليبرالية عن طريق الهيمنـة الفكرية والسياسية والاقتصاديـة للمؤسسـات الدولية وسياساتهـا المتخذة، فتم تفكيك أو إضعـاف الأطر التنظيمية عن طريق خصخصة المشروعات العامة، ورفع القيود عن حركات رؤوس الأموال، وتحرير الأسواق، فضلا عـن تخلي معظم الدول النامية عن استراتيجيـات التنمية الوطنية، وبدأت في فتح حدودها للتدفقات العالمية من السلع ورؤوس الأموال، سواء بمحض إرادتهم، أو بموجب الإتفاقيات المشروطة مع صندوق النقـد الـدولي والبنـك الدولي. وهكذا أصبحـت جميع هذه الدول جـزءاً من السـوق العالمي متسارع الاندماج، يتم تنظيمها وفقاً لسياسات وقواعد عالمية [45] .

وفي إطـار الفكـر الرأسمالي والسياسـات النيوليبرالية، يتوافق "النهـم الاستهلاكي" مع تحولات المجتمعات في ظل النظام الرأسمالي، ومع السياسات النيوليبرالية القائمة على أساس أن الدولة يجب ألا تقـوم بـأي دور في الاقتصاد، وأن النشاط الاقتصادي يجب تركـه للحوافز الفردية. ويتجلى الدور الرئيس للنظام المالي والاقتصادي للدولة والنظام الاقتصادي العالمي في ظل السياسات النيوليبرالية في تهيئـة البيئـة الاقتصاديـة والمناخ العـام لتوسيـع وتنامي نشاط الاحتـكارات والشـركات متعددة الجنسيات، فضلاً عن خلق وسائل الدفع الفعلية والافتراضية لتغطية نمط "النهم الاستهلاكي" لدي الأفـراد، بصرف النظر عن نوعية هذا الطلب الاستهلاكي، أو مـدى ضروريته في إشباع الضروريات الإنسانيـة. واقترنت الزيادة في القدرات الإنتاجيـة المتبوعة بتنامي الطلب مع زيادة التفاوت في توزيع الدخول داخل المجتمع الواحد، وبين دول العالم، فكان التوجه نحو التميز والسيطرة على الآخر، الأمر الذي يتحقق بتغذية المزيد من التفاوت في الدخول والثروات، والتوجه نحو إنتاج السلع والخدمات غير الضرورية باعتبارها مصدر الربح.

وفي ظـل النسق الاقتصادي العالمي الحالي، تتشابـك مصالح وعلاقات الدول اقتصادياً مع بعضها

والولايات المتحدة تحت هيمنة الأيديولوجيا والسياسات النيوليبرالية. حيث أطلقت " تاتشر" تحولاً نيوليبرالياً في السياسات البريطانية، فهاجمت النقابات العمالية، وخفضت الضرائب، واتخذت قرارات بخصخصة الصناعة الوطنية ومشروعات القطاع العام، ورفضت فكرة "الدولة الحاضنة" . وقام "ريجان" بإجراء تغييرات في السياسات الاقتصادية الأمريكية، وأهمها: تحرير الصناعات وخصخصة الخدمات، وتخفيض الضرائب، وتحجيم نقابات العمال. وخلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، تبنت جميع الدول الرأسمالية العديد من السياسات المبنية على حرية السوق، مثل الخصخصة وتقليص التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي. وتحولت مؤسسات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي إلى ما أسماه "جوزيف ستجليتز" المؤسسات التبشيرية للنيوليبرالية.

(45) Peter B. Evans, and William H. Sewell, "Policy Regimes, International Regimes, and Social Effects." In Social Resilience in the Neoliberal Era, edited by Peter A. Hall and Michele Lamont. New York: Cambridge University Press, {2013): pp.(35- 40).

البعض، تقودها مصالحها وسياساتها مع الاحتكارات والشركات متعددة الجنسيات التي تحكمت في مناحي النظام العالمي سياسياً واقتصادياً. وتنامت الأنشطة المرتبطة بمجالات البترول، لتصبح السيطرة على منابعه الهدف الرئيس للشركات والدول الكبرى. وأصبحت الفوائض البترولية المحققة وإعادة تدويرها هدف في حد ذاته للنظام المالي العالمي، ليظهر المجال الرئيس؛ الإنفاق العسكري، لامتصاص تلك الفوائض وإعادة تدويرها من خلال إنتاج المعدات العسكرية، والاستثمار في تكنولوجياتها، وتسويقها في دول لا تخوض حروباً وفقاً لمفهوم الردع والردع المتبادل. فضلاً عن تسليع التحركات العسكرية، وخلق توترات لا يمكن لطرف فيها الانتصار على الطرف الآخر، بهدف تسويق المنتجات العسكرية. ومن خلال هذا المجال –الإنفاق العسكري- يتم تطوير التكنولوجيا، وإمداد المجتمعات والقطاع المدني بالقدر اليسير والمحكوم منها[46] .أخذاً في الاعتبار علاقات التأثير والتأثر بين الاقتصادات الدولية، وتشابك العلاقات والمصالح الدولية في ظل صعود متنامي للشركات متعددة الجنسيات، وخاصة في المجالات الطبية وثورة الاتصالات، فضلاً عن تنامي حركة التجارة الدولية وسلاسل التوريد الكثيفة.

وفي ظل هذا النسق الاقتصادي العالمي القائم على سيطرة السياسات النيوليبرالية، خضعت الخدمات الإنسانية الأساسية – التعليم والصحة والثقافة- إلى دافع الربح، وهنا تشكل الخطأ الأساسي في مواجهة جائحة (COVID-19). فهناك من الخدمات ما لا يجب أن تكون محلاً للبيع والشراء، وألا تخضع لدافع الربح، وهي خدمات الرعاية الطبية والعدالة والتعليم والثقافة، فهذه الخدمات هي التي تحافظ على المجتمعات الإنسانية.فإذا فرضت السياسات النيوليبرالية على الدولة محدودية الدورين الاقتصادي والاجتماعي، فكان من الأجدى أن تقوم بدورها في زيادة معدلات الادخارعن طريق الضرائب التصاعدية، ومن ثم زيادة الاستثمار في مجالات الرعاية الطبية والتعليم والثقافة والعدالة الاجتماعية، بهدف إخراجها من الحيز الضيق للقطاع الخاص بصفة عامة ومن دافع الربح بصفة خاصة، ودون أن يتعارض ذلك مع احترام وديمومة الحوافز الفردية، كما طبقتها السياسات الكينزية في القرن العشرين.

2 - النسق السياسي:

نتناول هنا النسق السياسي في تفسير جائحة (COVID-19) وتداعياتها، أخذاً في الاعتبار

(46) لمزيد من التفاصيل عن حجم الانفاق العسكري وتطوراته في الاقتصاد الأمريكي، والدور الذي تلعبه الاحتكارات والشركات متعددة الجنسيات من خلال المركب العسكري الأمريكي، بهدف للحفاظ على استدامة مستويات التشغيل والإنتاجية في النشاط الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية (أنظر محمد رمضان الزيني، أثر الإنفاق العسكري ، (2019) ، مرجع سبق ذكره: ص ص.(33- 48)

ارتباطه العضوي بالنسق الاقتصادي الذي تناولناه مسبقاً ص ص.(140-145)، والنسق الاجتماعي ص ص.(149-153).ويتضح النسق السياسي في تفسير الجائحة من خلال تراجع دور الدولة القومية خلال العقود السبعة الماضية، هذا التراجع الذي أدى إلى تغيير جذري في دور الدولة الرئيس نتيجة التطور في ممارسات ظاهرة العولمة وتداعياتها، والتي أدت بدورها إلى تضاؤل أهمية الحدود الفاصلة بين الدول. فضلاً عن تراجع سلطة الدولة لصالح الاحتكارات والشركات متعددة الجنسيات كما ذكرنا سابقاً ص. 136)، بحيث أصبح من الممكن لهذه الاحتكارات وممارساتها تجاوز الحدود الفاصلة بين الدول، في تطبيق واضح لظاهرة العولمة. و تراجعت قوة الدولة مع زيادة نفوذ هذه الاحتكارات وقدرتها على رسم خريطة التفاعلات وسياسات الدول والنظام الاقتصادي العالمي، وأصبحت تلك الاحتكارات ترسم حدود العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وفي أغلب الأحيان تشكيل حدود وأنماط العلاقات السياسية بين الدول وداخل المجتمعات، ليشكل كل ذلك أحد أهم تفسيرات العجز عن مواجهة الجائحة في من منظور النسق السياسي.

ففي إطار النسق السياسي لتفسير الجائحة، يمكن رصد العلاقة بين تنامي العولمة وتراجع دور الدولة، الأمر الذي أدى إلى عجز الدولة عن القيام بدور رئيس في مواجهة هذا النمط من الكوارث والجوائح. فقد أدى تراجع دور الدولة وتنامي رأس المال في ظل العولمة إلى زيادة الثروات والدخول المقترن بتدهور العدالة في توزيع الدخل. فضلاً عن تراجع الدولة في دورها الرئيس والأهم المتمثل في حماية محدودي الدخل، وخاصةً في ظل تنامي سيطرة رأس المال بفضل الأوضاع والسياسات النيوليبرالية القائمة. ومن هنا تغيرت مفاهيم دور الدولة الرئيس، والقائم بالأساس على توفير الحماية لأفراد المجتمع قانونياً واجتماعياً واقتصادياً، والذي يعني ضمناً تدخل الدولة بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر لمعالجة فشل الأسواق، ومنع تدهور توزيع الدخل والثروة.

وفي إطار النسق السياسي العالمي، يمكن رصد مظهرين سياسيين أسهما في تشكيل العلاقات السياسية العالمية في العقود الخمسة الأخيرة من القرن العشرين، والتي تصاعدت في عقدي القرن الحادي والعشرين، وانعكست بدورها على تداعيات جائحة (COVID-19)، والعجز عن مواجهتها من قبل الإدارات الحكومية. هذان المظهران هما:

- التنامي الملحوظ في درجة وممارسات العولمة، وتحديداً التفاعل بين مناطق العالم ودوله المختلفة. وقد ساهم في ذلك الثورة التكنولوجية، وثورة الاتصالات والإتاحة المعرفية.
- تراجع دور الدولة القومية في تشكيل وعي وسلوكيات الأفراد والمجتمعات اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، لصالح الاحتكارات والشركات متعددة الجنسيات.

فقد اقترن تنامي معدلات العولمة وتطور أنماطها ابتداء من سبعينات القرن العشرين بتنامي ظاهرة "المجتمع الاستهلاكي" السابق الإشارة إليها ص. (138)، وبالأخص في الدول النامية. تزامن معها الزيادة الملحوظة في درجة التفاوت في عدالة توزيع الدخول واللامساواة بين دول العالم، وبين طبقات المجتمع الواحد داخل نفس الدولة. الأمر الذي أدى إلى زيادة عوائد رأس المال بمعدلات أكبر من زيادة عوائد العمل. فضلاً عن التراجع في دور الدولة القومية،والذي تزامن مع تنامي دور الاحتكارات والشركات متعددة الجنسيات وأنشطتها، وزيادة نفوذها وسيطرتها [47] .وفي إطار العلاقات الجديدة، تطورت فكرة "نظام السوق" في نهايات القرن العشرين، و ضرورة إخضاع العلاقات الاقتصادية لأحكامه، وتحكمه في مختلف مناحي الحياة، وإبعاد الدولة عن التدخل في النشاط الاقتصادي. فتحولت نظم الملكية العامة إلى الملكية الخاصة، والأسعار خضعت للعرض والطلب، مبررها في ذلك دافع الرابح. وهكذا أصبح دافع الربح هو الهدف الرئيس عن الدوافع الإنسانية الأخرى، وتراجعت في ظله الدوافع الأخلاقية والإنسانية التي استخدمت مسبقاً لتبرير تدخل الدولة للحفاظ على التماسك المجتمعي والإنساني للدول والمجتمعات [48] .

(47) مرت العلاقة بين دور الدولة وكل من الاحتكارات والشركات المتعددة الجنسيات **بثلاث مراحل** هي:(جلال أمين، تجديد جورج أورويل، مرجع سبق ذكره: ص ص . (44- 47)

i. المرحلة الأولى: بين عامي (1945- 1970) ، وهي مرحلة الدولة القومية في مناطق العالم المختلفة، العالم الرأسمالي في الغرب، والعالم الشيوعي في الشرق، والعالم الثالث في الجنوب. فقامت الدول الرأسمالية بإعادة بناء ما دمرته الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي استلزم تدخلاً كبيراً من جانب الدولة.

ii. المرحلة الثانية: بين عامي (1970- 1990): وشهدت بداية أفول وتفكك قوة الدولة القومية، وذلك عقب إتمام إعادة البناء والتعمير عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وظهور ما يسمى بظاهرة "الركود التضخمي "Stagflation. فكان التحول نحو ظاهرة "التدويل "Internationalization كأحد تجليات النظام العالمي الجديد، وتوغلت الشركات الدولية العملاقة، ووصفت بأنها متعددة الجنسيات، وبمعدلات إنتاجية بلغت أحياناً نحو ضعف معدل إنتاجية الاقتصاد المحلي للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. وكان من أهم نتائج هذه المرحلة نشأة وبزوغ " المجتمع الاستهلاكي" وظهور تداعياته في الدول المختلفة، وبالأخص في الدول النامية. فكان من الضروري خلال تلك المرحلة تخلى الدولة عن مسئولياتها، أي تخليها عن ظاهرة "الدولة القوية القومية". وانتهت تلك المرحلة بسقوط وتفكك الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الاشتراكي، وانفتاح الدول الاشتراكية، ومنها الصين وروسيا، أمام توغل نشاط الاحتكارات والشركات متعددة الجنسيات.

iii. المرحلة الثالثة:وبدأت من عام (1990) بأفول الدولة القوية. فتخلت الدولة طواعيةً أو جبراً عن مسئولياتها الاقتصادية، ولكن احتفظت بعض الدول بدرجة عالية من القوة نسبياً والمركزية في كل من الاتحاد السوفيتي والصين، وبصورة أقل نسبياً في دول أخري كالهند وإندونيسيا على سبيل المثال.

(48) جلال أمين، تجديد جورج أورويل، مرجع سبق ذكره: ص ص. (82- 84) .

ومـع بدايات القرن الحـادي والعشرين ، برزت "الشعبويـة " Populism[49] في الولايات المتحدة وأوروبا كأحد أهم الظواهر السياسية في العقود الأخيرة، مع تنامي الدعوات المناهضة للعولمـة، سـواء من الحـركات يمينية التوجه أو اليساريـة. فأصبحت الظاهـرة المميزة للحراك السياسـي في الولايـات المتحدة وأوروبـا هي صعود اليمـين الشعبوي ، والـذي تزامن مع خروج بريطانيـا من الاتحـاد الأوروبي، ووصول دونالد ترامـب إلى رئاسة الولايـات المتحدة، وصعود أحـزاب اليمـين في معظم دول الاتحاد الأوروبي[50] . وارتبط صعـود الخطاب الشعبوي اليميني في أوروبـا بـ"العولمة المفرطة Hyper-globalization " التـي تبنتها الحكومات الأوروبية، فـبرزت" الشعبويـة" الناجمـة عن الصـراع النيوليبرالي بـين الليبرالية والحقـوق الاجتماعية والاقتصاديـة التـي تحققت خلال مرحلة دولة الرفـاه. هذا الصراع الـذي أدى إلى تراجع الطبقة المتوسطـة، وبـروز ظاهـرة العودة إلى الهويـات المحلية في مواجهـة عولمة القيـم وتنميطها. فكانت "الشعبويـة" بمثابـة احتجاجـاً علـى النخـب السياسية، وذلك في ظـل تزايد مشاعـر الإحباط في المجتمعـات من عجـز السياسات التقليدية عن توفـير الأمن والاستقرار، وتنامـي القناعات بالدور السلبي الذي لعبته العولمة في تهميش الطبقات المتوسطة والفقيرة [51] .الأمر الذي انعكس بوضوح في عجز النظم السياسية المختلفة وبدرجات متفاوتة في مواجهة تداعيات جائحة (COVID-19).

وأدي العجـز المتفاوت نسبياً للدول وإداراتها الحكوميـة عن مواجهة تطورات الجائحة إلى تعميق تأثيراتهـا، في ظـل أزمة الثقـة التي حدثت في المجتمعات تجـاه تلـك الإدارات والمؤسسات الدولية؛ السياسيـة والاقتصاديـة والطبية، والتي تزامن معها الاضطرابـات الاحتجاجية التي شهدتها عدد مـن الدول بسبب حدة الأزمـة الاقتصادية؛ كما في لبنان، والمظاهـرات المناهضة للعنصرية، التي حدثـت في الولايات المتحـدة الامريكية وفرنسا السابق الإشارة إليها صـ. (138). ومن المتوقع أن

(49) "الشعبوية Populism"هي أيديولوجية سياسية لعدد من حركات التحرر الوطني التي تهدف إلى تحرير الشعوب دون اللجوء إلى الصراع الطبقي. كما تُعرَّف على أنها خطاب سياسي موجه إلى الطبقات الشعبية قائم على انتقاد النظام ومسؤوليه والنخب.

(50) شهدت الشعبوية صعوداً كبيراًخاصةً في أعقاب وصول الرئيس الأمريكي ترامب الى الرئاسة في نهاية عام (2016)، وكذلك ما أسفرت عنه الانتخابات في فرنسا وألمانيا والنمسا وهولندا وبلدان أخرى خلال عامي (2017- 2018)، حيث أشارت نتائج الانتخابات إلى نجاح الأحزاب الشعبوية واليمينية المتطرفة في تحقيق تنامي لشعبيتها، ومن بين أبرز هذه الأحزاب"حزب الجبهة الوطنية"في فرنسا، و"حزب الشعب"الدانماركي، و"حزب الفجر الذهبي"في اليونان، و"حزب الحرية"الهولندي، و"حزب بوديموس"في إيطاليا، و"حزب الحرية"النمساوي، و"حزب القانون والعدالة"اليميني في بولندا، و"حزب البديل من أجل ألمانيا" ، وغيرها.

(51) لمزيد من التفاصيل أنظر: ريناس بنافي ،"صعود اليمين المتطرف الأسباب والتداعيات: دراسة تحليلية " ، المركز الديمقراطي العربي، (2017).

يـؤدي كل ذلك إلى نشوء تحديات غير مسبوقة، تتمثل أهمهـا في مواجهة تطورات أنشطة ومجالات وممارسات العولمة في ظل الجائحة، ونشوء حالة من فقدان الثقة لدى الأفراد والمجتمعات في العديد من الإدارات الحكومية والمؤسسات الدولية، والتي سيتم تناولها في التحديات السياسية الناشئة عن جائحـة (COVID-19) صـ. (24)، وهو ما ينذر بتغيرات جذرية علـى المستوى السياسي داخل الدول، وعلى مستوى النظام العالمي ككل.

3 - النسق الاجتماعي:

نتناول هنا النسق الاجتماعي لتفسير تداعيات جائحة (COVID-19) ، وفي ظل ارتباطه عضوياً بالنسقين السياسي والاقتصادي كما سبق الإشارة ص. (140). فقد أثارت الجائحة العديـد من التداعيات على المستويين الاجتماعي والإنساني، والتي انتشرت آثارها وتطوراتها على مستوى كافة دول العالم.

ونتنـاول النسـق الاجتماعي بشـكل متداخل مع النسـق التأريخي، وذلك في إطـار الإشارة الضمنيـة إلى النسـق التأريخي في التحليل ص. (140). فقد واجهـت المجتمعات الإنسانية العديد من الأوبئة والكوارث الإنسانية والحروب التي انتشرت وأصابت وراح ضحيتها الكثيرين (الجـدولان رقم (م-1) ،ورقـم (م-2): ص ص.(164-172)، وتركـت آثارها النفسية والاجتماعيـة على الأفراد والمجتمعات، وأثارت لديهم العديـد من الأسئلة الوجودية، وشكلت تأثيرات على التركيبة النفسية للمجتمعات، وأدت إلى تغيرات عميقة سيكولوجية واجتماعية، انتهـت إلى ترسيخ معانٍ وقيم وأنماط اجتماعية متباينـة. وجائحة (COVID-19) التي نحـن بصـددها لا تختلف في ظاهـرهـا وسـياقها التأريخي عما تعرضـت له البشـرية من أوبئـة وكوارث وحروب مسبقـة، وإن اختلفت في تداعياتها الاجتمـاعيـة وآثـارها المتوقعة بحسـب التداعيات الناشئة، وبحكـم الارتباط العضوي بين الأنسـاق الثلاثة؛ الاقتصادي والسـياسي والاجتماعي.

وفـي إطار إرجاع الظواهر إلى أصولها وتوصيـف أنماطها ورصد الملاحظات السيكولوجية عنهـا، يمكن إرجاع التداعيات الاجتماعية لجائحة (COVID-19) إلى ملاحظات علماء النفـس الاجتماعي حـول الأنماطٌ السلوكية والنفسية المتزامنة مـع الأوبئة والحروب، وهو ما نجده في دراسة أنماط استجابـات المجتمعات لانتشار الأوبئة، وفي إطار مفهوم "سيكولوجيا الأوبئـة" (Epidemic Psychology). ويظهـر في هذا المفهـوم الملامح السيكولوجية

الاجتماعيــة للشعــوب خلال فترات الأوبئــة والكوارث، وذلــك من واقع الخــبرات التأريخية السابقــة، والتــي سنجد فيها تفســيرات للتداعيات الاجتماعية الناجمة عــن الجائحة. أخذاً في الاعتبــار أنــه ليس بالضرورة أن تقع ذات التداعيات جميعهــا أو بذات النمط في الجائحة الحاليــة، لكن قد يمثل هذا النهج محاولــة التأطير العام للسلوك الجمعي للمجتمعات في ظل هذا النمط من الجوائح.

وفي إطــار الارتبــاط العضوي بــين النسق الاجتماعــي والنسق التأريخــي، تتضح أن أهــم التداعيــات الاجتماعيــة الناشئــة عــن جائحــة (COVID-19) وفقا لــ "سيكولوجيــا الأوبئة" فيما يلــي: سقوط "العقلانيــة الهشــة" للتفاعلات الاجتماعية [52]، مخاوف العيــش في ظل "المجهول" [53]، صعود وهبوط

(52) تشير "**سيكولوجيا الأوبئة**" إلى الطبيعة المزدوجة للسلوك الإنساني، حيث تُخفي العقلانية اتجاهات وتحيزات لا منطقية. ففي الأوقات العادية، يتمكن البشر من الحفاظ على العقلانية بطريقة أو بأخرى، أما في الكوارث والأوبئة تظهر اللاعقلانية، ويدفع الخوف والقلق الأفراد لاتخاذ سلوكيات غير منطقية، تحركها المشاعر والاحتياجات الأساسية التي تسيطر على سلوكيات الأفراد (لمزيد من التفاصيل أنظر: هالة الحفناوي، سيكولوجيا الأوبئة: ماذا يحدث للمجتمعات عند تعرضها لوباء مفاجئ؟ مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الإمارات، 17 مارس (2020). وتتقاطع هذه الفكرة مع علم الاقتصاد التقليدي، الذي تأسس على «رشادة» الفرد، وافتراض اتخاذه قرارات منطقيّة، وبالتالي القيام بسلوكيات وقرارات رشيدة. كما تتقاطع تلك الفكرة مع علم الاقتصاد بفرعه الحديث؛ " الاقتصاد السلوكي Behavioral Economies"، ورائده Richard Thaler الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام (2017). ذلك التخصص الاقتصادي الذي يؤكد على اللاعقلانية في سلوكيات وقرارات الأفراد، ووجود تحيزات غير رشيدة ترتبط بمشاعر الفرد، منها مشاعر القلق أو الخوف أو الشعور بالضغط النفسي. وفي ذات الإطار، يؤكد عالم الاجتماع "شوتز "Schutz أن "العقلانية الهشة" تتحكم بسلوكيات الأفراد في الأوقات الطبيعية، وهو ما أطلق عليه الروتين، بما يتضمنه ذلك من أنماط معروفة من التفاعلات والعلاقات التي تشكل واقع الحياة المشتركة للمجتمعات. ولكن عندما تظهر وتتفشى الأوبئة والكوارث الحروب، تخرج المجتمعات عن هذا الروتين بمعطياته وحلوله الجاهزة، فتكون الاستجابة لهذه التهديدات في شكل موجات من الفزع، تتغير معها الممارسات الروتينية والتفاعلات الاجتماعية المشتركة. وتتغذى هذه الحالة على نفسها وتتضاعف، وقد تؤدي إلى الانهيار بدلاً من مواجهة التحديات. ومن الأمثلة على ذلك ما شهدناه أثناء جائحة (COVID-19) من هلع الشراء والاستهلاك، بالرغم من محاولات الحكومات السيطرة على سلوكيات الأفراد فيما يخص اتجاهات الشراء. فقد خلت سلوكيات الأفراد من الرشادة، وتحكمت في قراراتهم الانفعالات والتحيزات اللامنطقية .

(53) تواجه المجتمعات أثناء انتشار الأوبئة مخاطر اللايقين (Uncertainty)، المرتبط باحتمالات الإصابة بالمرض. فضلاً عن مواجهة الأفراد عبء حالة المجهول (The Unknown)، وهو ما يتسبب في تصاعد مشاعر الخوف والهلع، والتي قد تكون أكثر خطورة على حياة الفرد. ولذلك تشمل الحالة المجتمع ككل، المصابين والمتعافين والذين لم يصبهم المرض. وكلما طالت مدة تفشي الوباء، زادت الضغوط النفسية على الأفراد. ونظراً لنقص المعلومات المتوفرة عن جائحة(COVID-19) وانتشارها وتداعياتها، تضاعفت الضغوط النفسية على المجتمعات. وقد ينعكس ذلك في انهيار ثقة المجتمعات في المؤسسات الدولية والمحلية، الأمر الذي قد ينعكس على قدرة تلك المؤسسات على تهدئة القلق العام وتحجيمه، ومواجهة السلوكيات غير المنطقية النابعة بدافع الخوف (أنظر: فيدل سبيتي، سيكولوجية البشر في أزمنة انتشار الأوبئة. إندبندنت عربية، 21 مارس (2020).

أنماط التدين وارتباك القيم [54] ، إعادة إنتاج "الموروث الشعبي" [55] ، تنامي الشائعات في الفضاء العام وصعود نظرية المؤامرة وتوابعها [56] ، تنامي الشعور الجمعي والمبادرات الاجتماعية [57] .

وهكذا تترك الأوبئة تأثيرات طويلة المدى وذلك من منظور النسق الاجتماعي لظواهر الكوارث والأوبئة والحروب في التأريخ الإنساني، وتسهم تلك التأثيرات في تطوير أو تغيير الملامح الاجتماعية والثقافية للدول ومجتمعاتها، خاصةً مع التفاعلات الاجتماعية الجديدة الناجمة عن تفشي الوباء. وفي ظل الثورة التكنولوجية ووسائل التواصل الاجتماعي الحديث كأحد أهم العوامل المؤثرة في التعامل مع تداعيات جائحة (COVID-19)، من خلال التأثير على الوعي المجتمعي، وتخفيف حدة "التباعد الاجتماعي"؛ فمن المتوقع أن تشهد الفترة القادمة بزوغ سلوكيات وتوجهات اجتماعية جديدة استجابة للوضع الآني، تتوقف ديمومتها على مدى تقبل واستجابة المجتمعات لها.

(54) تتأثر منظومة القيم وأنماط التدين لدى بعض الأفراد بفترات انتشار الأمراض والأوبئة والكوارث، حيث يظل الفرد متمسكاً بمنظومة القيم التي تُفسر له ما يحدث، وتوجهه نحو سلوكيات بعينها، مثل الطقوس الدينية أو الخيرية أو غيرها، والتي من شأنها تخفيف معاناته بحسب معتقداته وإيمانه. وقد تحفز الكوارث والأوبئة على تنامي مشاعر التدين والتردد على دور العبادة، وتزايد ممارسة الشعائر الدينية، خاصةً من الأفراد التي لم تكن تمارس شعائر التدين قبل تفشي الجائحة. ولكن مع طول المدة الزمنية و زيادة حدة تفشي الوباء وارتفاع الضغوط النفسية يحدث الارتباك للفرد، وقد يذهب إلى ممارسات ذات صلة بعقائد أخرى ظناً منه بالخطأ في معتقداته (فيدل سبيتي، سيكولوجية البشر في أزمنة انتشار الأوبئة، مرجع سبق ذكره)

(55) يتجه أفراد المجتمعات أثناء الكوارث والأوبئة نحو البحث في الموروثات الشعبية، سواء لمحاولة التعامل مع المرض ذاته، فيما يعرف بالطب التقليدي أو الطب الشعبي، أو لبث الطمأنينة من خلال المأثورات والمقولات التي يبدأ الأفراد بترديدها للتكيف مع الجوائح. ويحمل كل مجتمع في طياته موروثه التقليدي المرتبط بخبراته الإنسانية، وهويته الدينية ومقدساته وتاريخه (هالة الحفناوي، سيكولوجيا الأوبئة، مرجع سبق ذكره).

(56) يصاحب تفشي الجوائح وقصور المعلومات عنها موجة من الشائعات التي ينجرف خلفها الأفراد، كونهم على استعداد لتلقي أي شائعة لتفسير ما يحدث حولهم . فعلى سبيل المثال، أشار "فرانك سنودين" في كتابه "الأوبئة والمجتمع"، إلى ظهور نظرية المؤامرة في فرنسا حينما انتشر وباء الكوليرا عام (1832) (M. F. Snowden. Epidemics and Society: From the Black Death to the Present. New Haven; London: Yale University Press. 2019) . وتعد هذه الفترات البيئة الخصبة لصعود نظرية المؤامرة، ليس فقط داخل المجتمع الواحد، بل أيضًا بين الدول. ولعل الاتهامات المتبادلة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية حول مسئولية تفشي جائحة (COVID-19) دليل على ذلك. ويزداد الأمر سوءًا مع انتشار استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، فمن ناحية يتم استغلالها من بعض التيارات لإثارة الهلع في المجتمعات، وتحميل الحكومات مسئولية التقصير في مواجهة الأوبئة. ومن ناحية أخرى، تنتشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي المعلومات المغلوطة عن أساليب مواجهة الفيروس، والتي تثير الخوف لدى الأفراد الذين ينجرفون خلفها.

(57) حيث يرتبط مصير الفرد بمصير المجتمع ككل في أوقات الأوبئة والكوارث والحروب، ويظهر نوع من الشعور الجمعي والتضامن بين أعضاء المجتمع الواحد الذي يعاني من تهديد واحد في مواجهة خطر تفشي الجائحة أو الوباء.

وفي إطار النسق الاجتماعي لتفسير تداعيات جائحة (COVID-19) ؛ أخذاً في الاعتبار ارتباطه العضوي بالنسقين الاقتصادي والسياسي السابق تناولهما (ص ص. 140-145)، يمكن وصف الحالة المجتمعية العامة في دول العالم المختلفة المصاحبة لجائحة (COVID-19)، بأنها حالة "مجتمع المخاطر" [58]، وذلك من منظور النسق الاجتماعي لتفسير الظاهرة. فلا توجد حتى الآن حقيقة واحدة مُؤكَّدة حول هذه الجائحة، مع سيطرة كاملة لحالة من اللايقين وعدم التأكد. فالظرف الاجتماعي الناشئ عن جائحة (COVID-19) أسمَّاه عالم الاجتماع الإنجليزي "أنتوني جيدنز Anthony Giddens" "مجتمع الخطر"، ذلك المجتمع المعني بالصحة والسلامة والأمن وما سيكون عليه مستقبله. وهو مجتمع قريب أيضًا لما أسماه عالم الاجتماع الألماني "أولريش بِك Ulrich Beck"، مجتمع المخاطر Risk Society". وقد ذكر " بِك Beck" خمسة من المبادئ الحاكمة لمجتمع المخاطر [59] يمكن إسقاطها على الوضع المجتمعي في العالم في ظل جائحة (COVID-19)، وتشمل هذه المبادئ ما يلي[60]:

أ - المبدأ الأول: أن المخاطر تحدث نتيجة عمليات الإشعاع غير المرئية، وبالتالي فهي تتسم بالمراوغة وصعوبة الإدراك المباشر لها.

ب - المبدأ الثاني : يتعلق بالأثر العكسي الخاص بالمخاطر، فالمخاطر الناشئة عن السياسات الاقتصادية أو العلمية أو الاجتماعية غالبًا ما ترتد إلي المجتمعات مسببة الأضرار لها [61] . ويشير هذا المبدأ أيضاً إلى الطبيعة المعولمة للمخاطر المعاصرة، وإلى شعور أطياف المجتمع بالخوف.

ج- المبدأ الثالث: أن المخاطر المعاصرة مخاطر سرمدية الأثر، وتتطلب إجراءات لا حصر لها، وأن إدارة الأزمات ضرورية في التعامل مع هذا النمط من المخاطر والكوارث.

د-المبدأ الرابع: أن المخاطر طبقية الطابع، يتحكم في إدارتها فئة أو طبقة معينة، وهي

(58) شاكر عبد الحميد، ما بعد الكورونيالية: أو ذلك العدم الذي يقف على الأبواب (1-2)، أصوات أونلاين، 17 أبريل 2020.

(59) انتقدت أفكار "بِك" بصفة عامة بأنها ذات طبيعة نيوليبرالية ، وأُنتقدت مبادئه كونها تتجاهل الواقع التاريخي للمجتمعات، فكل مبدأ منها يقوم بتمييز غير صادق (أو مُؤكَّد) بين الأنواع القديمة من المخاطر والجديدة منها (شاكر عبد الحميد، ما بعد الكورونيالية، مرجع سبق ذكره).

(60) شاكر عبد الحميد، ما بعد الكورونيالية، **مرجع سبق ذكره**.

(61) ويتحقق ذلك الأثر العكسي نتيجة للجشع غير المنضبط لأصحاب السياسات الاقتصادية والاجتماعية. ومنها على سبيل المثال انهيار الأسواق والبورصات العالمية.

الطبقــة المالكة لرأس المال والعلــم، ولذلك فإن العلم المرتبط بنشوء المخاطر قابل للتسليع، ويحصل عليه من يمتلك ثمنه.

هـ- المبـدأ الخامـس: أنه عندما تسـود المخاطر وتهيمن على المجـال والفضاء العام، يصبح الأمن العـام أكثر اعتباراً في أهميته عن الأمن الخاص، مما يعطي لسلطات الدولة الدور الأوسع في مجابهة الاحتجاجات الناشئة عن الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية.

ويشير الوضع الحالي في ظل جائحة (COVID-19) إلى أن العالم أصبح في عزلة اجتماعية في ظل إجراءات العزل المنزلي والحجر الصحي والتباعد الاجتماعي بين البشر، مما يعني نشوء "مجتمع المخاطر". ويشير الواقع إلى أن العزلة الاجتماعية قد تكون بدأت قبل تفشى الجائحة، فالعزلة الاجتماعية ربما تسبب فيها الاستخدام المفرط للتكنولوجيا والهواتف الذكية، ووسائل التواصل الاجتماعي. ولكنها الوسيلة الوحيدة للتعامل مع تداعيات الجائحة، إذا تم استخدامها في التضامن المجتمعي وخلق تغيرات عميقة الأثر في هياكل المجتمعات [62]. فقد تعايشت المجتمعات قرنين كاملين في ظل هيمنة المجتمعات الصناعية ، وسيطرة سياسات الإدارات الحكومية المتعاقبة في الولايات المتحدة والدول الغربية. وربما بدأ يظهر في الأفق تحول مجتمعي ونظام عالمي جديد، تتوافق فيه أو تسيطر عليه سياسات القطب الجديد- الصين- بأنماط مجتمعية وسياسية مختلفة، وربما تكون مستحدثة.

3. مستقبل التحديات الناشئة عن جائحة (COVID-19):

يثـير نقاش التحديـات المستقبلية التساؤل عـن مدي الاعتقاد بأن تنذر هـذه الجائحة بنهاية العالم [63] ، وهو التساؤل الذي يمثل التحدي الوجودي أمام البشرية، والظرف الكاشف عنه تفشي جائحــة (COVID-19). ربمــا نجد الإجابة في سيــاق النسق التأريخي للجوائــح والأوبئة التي تعرضــت لها البشرية (جدول رقم (م-1): ص ص. 164- 172)، والتي انتهت إلى وفاة عشرات الملايين مــن الضحايا. بل إن حروب القرن العشرين وحدها نتــج عنها قتلى يتجاوزعددها ضحايا الأوبئة والجوائــح (جـدول رقم (م -2): صـ. 172). وبالرغم من ذلــك استمرت البشريــة ولم تفنى، فالبشر

(62) Noam Chomsky, In Response to Coronavirus, You Can Do Something. An interview, 14th April 2020.

(63) أثار هذا السؤال للنقاش الأستاذ الدكتور/ جودة عبد الخالق، أستاذ الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، ووزير التموين والتجارة الداخلية الأسبق، على طلابه في محاضرات تمهيدي الدكتوراه لمادة التحليل الكمي في إبريل عام 2020، ويعود إليه الفضل في وضع اللبنة الرئيسة لإعداد هذه الورقة البحثية.

يجدون دوماً طريقهم نحو البقاء والمقاومة وديمومة النشاط. ولكن هل ستنجح الحضارة الحالية في تجاوز الجائحة وتداعياتها ؟

نجد الإجابة في إطار نظرية المؤرخ البريطاني " أرنولد جوزيف توينبي" ، الخاصة بنشوء الحضارات الأولى؛ أو كما يُسمّيها الحضارات المُنقطعة، وهي نظريّته الخاصّة بـ " التحدّي والاستجابة " [64] ، فاستمرار التحدي وتكراره ينتهي إما بالاستجابة لهذا التحدي وصعود الحضارة في طريق التقدم، وإما ينتهي بإخفاق الحضارة في خلق الاستجابة الملائمة إزاء هذا التحدي، من حيث النوعية والتوقيت. وهذه السلسة المتكررة من الإخفاقات في الاستجابة إزاء التحديات تشكل المصدر الرئيس لتدهور الحضارات. وعلى ذلك فالحضارة تنتهي وتتلاشي وفقاً لـ "توينبي" بانهيارها واندثارها بفعل عواملها الداخلية. وتتلخص هذه العوامل الداخلية في: إخفاق الأقلية المبدعة في تحقيق قوتها الخلاقة، انسحاب الأغلبية عن الأقلية الحاكمة، وضياع الوحدة المجتمعية [65] . وهكذا يفسر "توينبي " انهيار الحضارات بتحلل المجتمعات من الداخل قبل أن يأتيها أسباب الاندثار من الخارج، فإن أية حضارة لا يمكن أن تنهار دون أن تمر بمراحل التدهور في أطوارها الثلاثة وفقاً لـ "توينبي"، وهي على الترتيب: التصدع الحضاري، والتحلل الحضاري، والتفتت الحضاري [66] . ولكن المؤكد أن انهيار الحضارة يرجع إلى عدم وجود الاستجابة الناجعة للتحديات، فالحضارات تولد أساساً عندما تستحثها التحديات على التطور، وتتمثل هذه التحديات في بيئات طبيعية أو ظروف بشرية، ومن ثم فإن الظروف العادية لا تؤسس الحضارات، والمتمسكون بالاستجابة للتحديات، مكانياً وزمنياً، هم فقط الذين يتمكنون من بناء الحضارات والحفاظ على أنساقها.

---

(64) استلهم " توينبي" نظريته من علم النفس السلوكي، استناداً على أنّ الفرد الذي يتعرض لصدمة قد يفقد توازنه لفترة ما، ثم يستجيب لها بنوعين من الاستجابة: استجابة سلبية؛ بمعنى النكوص إلى الماضي لاستعادته تعويضاً عن واقعه، فيصبح انطوائياً. واستجابة إيجابية؛ بمعنى تَقَبُّل الصدمة والاعتراف بها، ثم محاولة التغلُّب عليها، فيكون في هذه الحالة انبساطياً. ويستهل " توينبي" نظريته في التحدي والاستجابة باعتقاده أنه في كل لحظة في حياة كل فرد، وفي المجتمعات يظهر التحدي لموقف جديد يجب مواجهته، فإما نجحنا في المواجهة أو فشلنا، فقد ننجح ونستمر في الحياة والتطور، وقد نفشل ونبدأ في الانحدار. وهكذا لاحظ " توينبي" في دراسته للحضارة البشرية أن هناك بعض المجتمعات لم تستطع الصمود أمام التحديات الطبيعية والبشرية، وذلك لشدة هذه التحديات، ويسمي " توينبي " هذه الحضارات " الحضارات المتعطلة "، ومن أمثلة الحضارات التي أخفقت في الاستمرار حضارة "الإسكيمو"، ومن أمثلة الحضارات التي استجابت للتحديات وواجهتها واستمرت "أسبرطة ".

(65) يرفض " توينبي" فكرة تدهور وانهيار الحضارات الناشئ عن أسباب حتمية خارجة عن قدرة الإنسان، فالسقوط والانهيار أسبابه داخلية وليس ناتجاً عن أسباب خارج المجتمعات.

(66) F. Neilson, Arnold Toynbee›s «Study of History». The American Journal of Economics and Sociology,14, 1955 : pp. 1-4

وفي ظل تطورات جائحة (COVID-19) وتداعياتها على مستوى العالم ص ص.(14-4) خلال الفترة البحثية، يمكن القول أننا أمام لحظة تاريخية فارقة، ليس فقط بسبب الجائحة، بل لأن هذه الجائحة بأبعادها الحالية تمثل ظرفاً كاشفاً وصادماً للوعي الإنساني. كاشفاً عن العيوب العميقة والأزمات الهيكلية التي تواجهها الحضارة الإنسانية الحالية ذاتها. ويثير (COVID-19) تساؤلاته الوجودية عن تحدياته المستقبلية الناشئة عن تداعياته؛ هل سيغير الفيروس الحضارة الحالية؟ هل ستتغير المعتقدات الأيديولوجية الراسخة؟

من الصعب الإجابة عن هذه التساؤلات آنياً، لأن الظاهرة وتداعياتها من العمق والعشوائية والاضطراب ما لا يسمح بالتنبؤ بها وبتداعياتها المستقبلية التالية، فمن الصعب معرفة ما يجب القيام به في المشهد الاقتصادي في ظل الجائحة، فقد فُرض على الأفراد "الحجر الصحي"، وفُرض على المجتمعات المواجهة بين ما هو إنساني وما هو لا إنساني، بدون علاج أو لقاح ناجع يمكننا من مواجهة الفيروس المجهول اللامرئي، لتتجه البشرية نحو"انتقال وحشي لم يكن مُعداً ولا مفكراً فيه"[67]. وهو الظرف الكاشف للحضارة الحالية، لنصبح أمام الوعي الإنساني والمجتمعي في إحدى أروع تجلياته. ووفقاً لنظرية "توينبي" في التحدي والاستجابة، فقد ظهرت التحديات والاقتصادية والسياسية والاجتماعية الناجمة عن الجائحة، ويقع الدور الرئيس على الحضارة والمجتمعات والأنظمة السياسية في الاستجابة لمواجهتها، وهو الأمر الذي سيتوقف عليه مدى صمود الحضارة بأنساقها الحالية وتطورها في مواجهة الجائحة وتداعياتها.

فعلى مستوي التحديات الاقتصادية ، ظهرت تحديات التداعيات الاقتصادية التي تسببت فيها جائحة (COVID-19) على مستوى الاقتصاد العالمي، فالأنشطة والمجالات الرئيسية التي تقود قطار الاقتصاد العالمي وسياساته النيوليبرالية أصابها الارتباك التام، وأهمها البترول والإنفاق العسكري والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وسلاسل التوريد (ص . 17). فكأن الأمر يمكن تشبيهه بأن قاطرة الاقتصاد العالمي قد أصابها التوقف المفاجئ (Sudden Stop) أو الإغلاق المفاجئ (Sudden Closure) ، واستنفذت وقود محركاتها المتمثل في الإنفاق العسكري، أو لم يعد ملائماً لظروف المرحلة ، ليتحرك الاقتصاد العالمي بفعل القصور الذاتي، وقبل التوقف والإغلاق التام. وتواجه اقتصادات الدول خطر الكساد

(67) آلان تورين، حوار.. ألان تورين: هذه ليست حرباً.. وستكون هناك كوارث أخرى.حاوره: مارك باسيتس، ترجمة الحوار: توفيق السليماني، جريدة أخبار اليوم المغربية، العدد رقم 3158، بتاريخ 4- 5 أبريل 2020 : ص. 16.

العالمي، حيث تشير التوقعات إلى اقتراب حدته من أزمة الكساد العالمي الكبير عام (1929)، ولكنه سيكون فريد في خصائصه وتحولاته وصدماته بفعل العولمة وثورة التكنولوجيا، وبفعل التوقف المفاجئ للاقتصاد العالمي. ليكون من المناسب التفكير في طرح مفهوم لوصف وتفسير الظاهرة اقتصادياً، واستحداث أدوات لازمة لمواجهة تبعاتها كأحد أنماط الاستجابة لذلك التحدي. وليكن مسمى هذا المفهوم "اقتصاديات الإغلاق Lockdown Economies "، أو "اقتصاديات الجوائح Pandemic Economies". وهو ما يسمح باستخدام الأدوات المستحدثة في مواجهة أزمات مماثلة مستقبلاً، حيث يتزامن تحدي جائحة (COVID-19) مع تنامي التحديات والتهديدات الوجودية الآنية والمستقبلية التي تواجه البشرية، ومن أهمها : تصاعد احتمالات نشوب حرب نووية، وتزايد مخاطر التغير المناخي[68] .

ويظهر الخطر الأول تزامناً مع تفشي الجائحة، وفي ظل مع الضغوط الاقتصادية التي تواجهها المجتمعات بفعل خطر الإغلاق الاقتصادي، وتراجع الأنشطة العسكرية، فضلاً عن التداعيات الاقتصادية السلبية التي ظهرت نتيجة تراجع أنشطة إنتاج البترول ومشتقاته [69] ، الأمر الذي أدى إلى وجود تهديدات بنشوب حرب تقليدية، قد تمتد إلى حرب نووية، في ظل المناوشات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، وأيضاً بين الولايات المتحدة والصين. وهذا هو الخطر الأول على الحضارة الإنسانية بأسرها، والذي سيؤدى بدوره إلى تداعيات خطيرة على النسق الاقتصادي العالمي بأكمله.

أما الخطر الثاني والمتمثل في تزايد مخاطر التغير المناخي، بفعل ارتفاع معدلات التلوث في

(68) Noam Chomsky, In Response to Coronavirus, You Can Do Something , op. cit.

(69) تراجعت قيمة العقود الآجلة للنفط الخام الأمريكي في نهاية شهر إبريل عام 2020 ، حيث هبط سعر البرميل في العقود الآجلة لشهر مايو عام 2020 إلى حوالي "سالب37" دولاراً، وهو أدنى مستوى منذ بدء بيع العقود الآجلة عام 1983. ويعود السبب الرئيس في هذا الانهيار إلى تزايد فائض العرض من البترول مقارنة بالطلب عليه، الأمر الذى أدى تنامي مخاطر انكماش الاقتصاد العالمي. وقد كشف انهيار أسعار البترول عن حقيقة أساسية مفادها أن السلعة الأهم في العالم تفقد قيمتها بزيادة عرضها، وذلك لأن فائض عرضها يضغط على سعة تخزين النفط الخام وخطوط الأنابيب المخصصة لعمليات النقل. وبرغم عودة أسعار البترول لارتفاعها لاحقاً، ولكنها ظلت عند مستويات متدنية. ويمكن إرجاع السبب في ذلك الارتفاع الطفيف في مستويات الأسعار إلى سببين رئيسيين: أولهما تهديدات الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب "بشن حرب على إيران، وإعلانه تعبئة احتياطي البترول الاستراتيجي دون موافقة الكونجرس، فضلاً عن ضخ التمويل لشركات البترول والغاز الأمريكية. أما السبب الثاني فيتمثل في قيام المنتجين بخفض الإنتاج، ومن ثم خفض عرض البترول بهدف الحفاظ على مستويات الأسعار.

الـدول الصناعية، وأنشطة الاحتكارات والشركات متعددة الجنسيات في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، فضلاً عن الاستخدام المكثف للأسلحة المختلفة في مناطق الصراع العسكري التي تنشـب بمختلف مناطق العالم، بهدف ضمان استدامة التشغيل والإنتاج في الاحتكارات العاملة في مجال الإنتاج العسكري، الأمر الذي ينذر بكارثة بيئية مؤكدة ناجمة عن التغيرات المناخية. ولكن مـن جهة اخري، فقد أدت جائحـة (COVID-19) وتداعياتها إلى نشوء تطورات إيجابية فيما يخص خطر التغير المناخي، ناجم عن الانعزال والتباعد الاجتماعي وتراجع الصراعات العسكرية مرحليـاً، فضلاً عن الإغلاق التام للشركات والمصانع، مما انعكـس إيجاباً على النواحي البيئية، وأعطي بارقة أمل في مواجهة خطر التغير المناخي باتخاذ سياسات أكثر صرامة وشفافية.

وهكذا مثلـت الجائحة ظرفاً كاشفاً، بكشفها عن أوجه القصور في الاقتصاد العالمي، ويتوقف القرار العالمي على صانعي السياسات نحو توحيد الجهود لمواجهة هذه الجائحة بأنماطها المختلفة، وذلـك بوضع أهداف واضحة والعمل علـي تنفيذها أهمها: تطوير الأنظمـة الطبية والاقتصادية والمالية القادرة على التعامل مع تداعيات الفيروس، وتعزيز القدرات الحكومية والطبية والإدارية علـى إجراء الفحوص الطبية، وتنفيذ التتبع والحجر الصحي للحالات المصابة والمشتبه بإصابتها والمخالطـين لهما، بهـدف الوصول إلى مرحلة تسطيح منحنى أعـداد الإصابات المؤكدة والوفيات الناجمـة عـن الفيروس. فضلاً عن إيجاد آليـات الحفاظ على سلامة الصحـة النفسية والمادية للفئات الأكثر تضرراً من تفشي الجائحة.

وعلـى مستوى التحديات السياسية في ظل جائحة (COVID-19)، فقد تمثلت في مواجهة تطـورات العولمة الناشئـة، وفقدان الأفراد والمجتمعـات الثقة في الإدارات الحكوميـة والمؤسسات الدولية؛ السياسية والاقتصاديـة والطبية. فبالنسبة للعولمة، فقد أدى تحدى الجائحة وتداعياتها إلى بـزوغ دور الدولـة في المشهد المجتمعي، في ظل إدراك الحكومـات لمسئولياتها في الحفاظ على حياة أفرادها وضمان رعايتهم الصحية، فاتخذت إجراءات احترازية على المستوى الوطني، منها إغـلاق الحـدود والمطارات، وفرض الإجـراءات التقييدية على حركة كل مـن المواطنين والتجارة الدوليـة، في تراجع واضح عـن نسق العولمة بمنظوره الحالي. وهو مـا يؤسس لإمكانية طرح تطور مستحدث لنسقالعولمة يتسم بالإنسانية، ويتسق مع مفاهيم المساواة والأمن والعدالة الاجتماعية.

أما بالنسبة لفقدان الثقة في الإدارات الحكومية و والمؤسسات الدولية؛ السياسية والاقتصادية

والطبيــة، وباعتباره التحــدي السياسي الرئيس للأنظمة والحكومــات المجتمعية ، فيطرح "هنري كسينجــر" رؤيته لمواجهــة تداعيات الجائحة ، بالتحذير من اضطرابــات سياسية واقتصادية قد تستمر لأجيال بسبب الجائحة، وضرورة تحوط الحكومات والمجتمعات من تفكك العقد الاجتماعي محليــاً ودولياً، في ظل زيــادة اقتناع المجتمعات بعجز المؤسسات – وبالأخص السياسية والطبية – في العديــد مــن الدول عن أداء مهامها[70] .وسواء كان هذا الحكــم على هذه المؤسسات موضوعياً أو غير عادلاً، ستظل الحقيقة بأن العالم لن يكون ولن يعود كما كان بعد انتهاء الجائحة، وسيكون الاختبــار الحقيقــي للحكومات ليس فقط مواجهــة الكوارث والأوبئة، بل قدرتهــا على تجنبها، ثم إعــادة الأمــور إلى طبيعتها. وهــو التحدي الرئيس أمــام الأنظمة السياسيــة. ويقترح "كسينجر" لمحاولة الحفاظ على الأنظمة السياسية والمجتمعية الحالية وسياساتها النيوليبرالية ما يلي[71] :

أ- تطوير تقنيات لمكافحة العدوي.

ب- السعي إلى تحسين أوضاع الاقتصاد العالمي، والموازنة بين تدابير الصحة العامة المتمثلة في التباعد الاجتماعي وإغلاق المدارس والشركات، وتفاقم الضرر الاقتصادي.

(70) تتأكد قناعة المجتمعات بعجز المؤسسات الدولية عن أداء مهامها في ظل الجائحة، تشهد المرحلة الراهنة حربا فرضتها جائحة كورونا، هي "حرب اللقاحات". وذلك على خلفية الأزمة بين الاتحاد الأوروبي والشركات المصنعة للقاحات المضادة فيروس كورونا، إثر عدم التزام الشركات بتسليم الجرعات المتفق عليها في الربع الأول من عام 2021، رغم مساهمات الاتحاد الأوروبي المالية في أبحاث التوصل لهذه اللقاحات. يأتي ذلك وسط مناشدات من منظمة الصحة العالمية إلى كافة دول العالم بضرورة عدم التخلي عن الدول الفقيرة خلال توزيع اللقاحات، حيث أطلقت المنظمة تحذيراتها من تنامي النزعة القومية فيما يتعلق باللقاحات. وقامت منظمة الصحة العالمية بتدشين مبادرة "كوكافس "COVAX بالتعاون مع عدة منظمات غير ربحية، تسعى إلى التوزيع العادل للقاحات عن طريق التفاوض من أجل سعر تفضيلي مع شركات الأدوية المصنعة للقاح. وتعتبر هذه المبادرة محاولة لتخفيض المخاطر التي تنطوي عليها عمليات التسابق للحصول على اللقاحات. وقد بدأت المبادرة بجمع جزء من التمويل اللازم من الدول الأعضاء، بقيمة حوالي 2,4 مليار دولار، مع الإعلان عن ضرورة توفير تمويل إضافي بحوالي 4,6 مليار دولار. ومع ذلك، ومع محاولات توفير التمويل اللازم، فلن يتم تلقيح سوى 20 بالمائة من سكان كل دولة بنهاية عام 2021، وهذه النسبة لن تكون كافية في بعض الدول كالمكسيك أو البرازيل التي تعاني من تفشي حاد للفيروس. وقد أعلنت مبادرة "كوكافس " في 3 فبراير عام 2021 قائمة البلدان الأولى التي ستتلقى اللقاحات والكمية التي ستحصل عليها ابتداء من النصف الأول من العام .2021 و الدول التي ستتلقى أكبر عدد من الجرعات خلال النصف الأول من العام الجاري هي الهند ونيجيريا وباكستان وإندونيسيا والبرازيل وبنجلادش. و ربما تعد مبادرة "كوكافس" الفرصة الوحيدة بالنسبة للدول الفقيرة للحصول على كميات مقبولة من اللقاح.

(71) Henry A. Kissinger, The Coronavirus Pandemic Will Forever Alter the World Order, The U.S. must protect its citizens from disease while starting the urgent work of planning for a new epoch. The wall Street Journal (WSJ), 3rd April 2020.

ج- حماية مبادئ النظام العالمي الليبرالي.

وهكذا مثلت جائحة (COVID-19) "الظرف الكاشف" وجرس الإنذار شديد اللهجة للأنظمة السياسية والمؤسسات الدولية في ظل سياساتها النيوليبرالية الحالية والعاجزة عن مواجهة التداعيات الناشئة، ومن المتوقع نشوء المطالبات السياسية نحو الدعوة للإصغاء والخضوع للنسق الكوني، بإرساء العدالة والمساواة والإنسانية كمفاهيم ومتطلبات مجتمعية.

أما على مستوى التحدي الاجتماعي، وفي سياق الأنماط الاجتماعية لـ"سيكولوجية الأوبئة"، وتنامي الشعور الجمعي وظهور المبادرات الاجتماعية السابق الإشارة إليها (ص. 19)، ظهرت دعوات التحوط والتحذير "من كل من آلان تورين"، و"هنري كسينجر"، و" نعوم تشومسكي"، وغيرهم. وتمثلت إحدى هذه الدعوات على المستوى الاجتماعي في محاولة طرح مصطلح "ما بعد الكورونيالية Post-Coronialism" [72]، بهدف دراسة الواقع الحالي والمستقبل الاجتماعيين لجائحة (COVID-19)، وبما يطرحه هذا المصطلح من دراسة لتداعيات الجائحة في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وهو ما يأخذنا بشكل أو آخر إلى إحياء تناول علم الاقتصاد ضمن العلوم الاجتماعية من منظور الدراسات البينيّة "Interdisciplinary"، وفي إطار النظرية العامة للأنساق.

(72) لمزيد من التفاصيل أنظر، شاكر عبد الحميد، ما بعد الكورونيالية، مرجع سبق ذكره.

الخاتمة:

لقد قدم (COVID-19) إشاراته التحذيرية للبشرية من أخطار تتعرض لها الحضارة الإنسانية، ليحث العالم على الاستعداد بجدية، وأتاح أمامنا رفاهية الاختيار. فمن ضمن الخيارات المتاحة العودة إلى المفاهيم المعنية بالاحتياجات البشرية، وعدم تغليب الصوت الاقتصادي لمنفعة السياسات النيوليبرالية، التي يمكن لها التواؤم والتوافق مع تزايد العنف والتسلط المحتملين من الحكومات، الذي قد تظهر تجلياتهما تحت ذريعة مواجهة أزمة جائحة (COVID-19)، وخاصة إن طالت الأزمة وتشعبت وازدادت غموضاً وسرمدية.

وتعد الجائحة أحد التحديات الخطيرة، وستكون المجتمعات عرضة لتداعيات أخطار مثيلة، إن لم تتوفر الإرادة المجتمعية لإلزام الإدارات الحكومية والمؤسسات الدولية باتخاذ الطريق نحو إعادة تنظيم المجتمعات، وخلق السياسات التي تحقق التضامن الإنساني للتعامل مع الأخطار الوجودية المستقبلية. فالجائحة بمثابة نذير جاد للبشرية، وعلينا أن نبحث في جذور وأصول المضامين التي تؤدى إلى الأزمات وتداعياتها،وتعوق سبل مواجهتها. فقد كشفت الجائحة أن الحضارة الحالية ليست بالقوة التي تدعيها، وعاجزة بسياساتها الحالية عن مواجهة التحديات الناجمة عن الأزمات العميقة، فضلاً عن عجزها عن معالجة اختلالات النظام الاقتصادي والاجتماعي العالمي ككل. فالأمر يتطلب طرح نظام عالمي جديد بفكر إنساني، بهدف حماية المجتمعات، والحفاظ على استدامة البشرية.

هذه هي التحديات الحقيقية التي تواجه الحضارة الإنسانية الحالية والبشرية بأسرها في مواجهة عدوها الغامض اللامرئي، تحديات اقتصادية وسياسية واجتماعية. وتعتمد بقاء الحضارة بشكل رئيس على خلق الوعي ودرجة الاستجابة لهذه التحديات في سياقها المناسب كما أشرنا من قبل في نظرية التحدي والاستجابة لـ "توينبي" (ص. 23). إننا أمام لحظة وظرف كاشف للحضارة الحالية ومجتمعاتها وللإنسانية بأسرها، ظرف كاشف يُظهر حقيقة الوعي المجتمعي والإدراك الإنساني.

لقد توغل الإنسان على الطبيعة تحت دعوى المدنية الحديثة وتحت مظلة السياسات النيوليبرالية، فقام بالاعتداء على البيئة والمناخ والأشجار والكائنات، بل طالت اعتداءاته النفس البشرية ذاتها. لقد أدرك الجنس البشري بتوغلاته على الكون والطبيعة الانتصارات والانكسارات، وتناحر حول الفتات، وتعايش بشروطه، ولكنه صم أذانه عن الصوت الآتي من أسبار الكون وأغواره. ناشدته الطبيعة مراراً لكنه لم يصغ،أو تجاهل الإصغاء متعمداً بإرادته. فقرر الكون الإتيان بإحدى تجلياته المُنشئة عبر التاريخ الإنساني؛ المشية العشوائية Random Walk، ليتجلى أمامنا الحدث، ولنتعلم الدرس الأعظم، بأننا نحيا على معمورة واحدة، تضم الجميع وتتسع لكافة المخلوقات. فهل آن الأوان لبداية تصالح الإنسان مع الكون والطبيعة والنفس، لصالح بقاءنا جميعاً، بقاء الجنس البشري...لعلها تأتي كذلك.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية

1. آلان توريـن، حـوار.. ألان تورين: هذه ليست حرباً.. وستكون هنـاك كوارث أخرى.حاوره: مارك باسيتـس، ترجمـة الحوار: توفيق السليمـاني، جريدة أخبار اليوم المغربيـة، العدد رقم 3158، بتاريخ 4- 5 أبريل: ص. 16. تم الإطلاع عليه بتاريخ 10 إبريل 2020، على الرابط:

   http://alyaoum24.com/1398201.html

2. الجريدة الرسمية، العدد 11 مكرر هـ، مارس 2020.

3. جلال أمين، جلال، تجديد جورج أورويل: أو ماذا حدث للعالم منذ 1950، القاهرة: الكرمة للنشر، الطبعة الثالثة، 2006.

4. جودة عبد الخالق، جائحة كورونا المعتاد الجديد.. الدلالات والتبعات، جريدة الأهرام. 4 مايو 2020.

5. ريناس بنايف ، "صعود اليمين المتطرف الأسباب والتداعيات: دراسة تحليلية " ، المركز الديمقراطي العربي، 2017.

6. شاكر عبد الحميد، ما بعد الكورونيالية: أو ذلك العدم الذي يقف على الأبواب (1-2)، أصوات أونلاين، 17 أبريل 2020. تم الإطلاع عليه بتاريخ 20 إبريل 2020، على الرابط:

   -/http://aswatonline.com/2020/04/17

7. فيدل سبيتي، سيكولوجية البشر في أزمنة انتشار الأوبئة. إندبندنت عربية، 21 مارس 2020. تم الإطلاع بتاريخ 19 إبريل 2020، علي الرابط:

   https://www.independentarabia.com/node/g

8. محمد رمضان محمد الزيني، أثر الإنفاق العسكري على النمو الاقتصادي. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2019.

9. مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (a)،كوفيد – 19: إعادة تشغيل الاقتصاد، رؤى وخبرات دولية، العدد الأول، 20 مايو 2020.

10. مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري (b)، الأزمات في نقاط: من الحظر إلى التعايش، فيروس كورونا المستجد (COVID-19 Disease)، السنة 1، العدد 2 . مايو 2020.

11. نيكولاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، (ترجمة يوسف فهمي حجازي)، ألمانيا، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، 2010.

12. هالة الحفناوي، سيكولوجيا الأوبئة: ماذا يحدث للمجتمعات عند تعرضها لوباء مفاجئ؟ مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الإمارات. تم الإطلاع عليه بتاريخ 20 إبريل 2020 ، على الرابط:

https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/5379

ثانياً المراجع الأجنبية

1. Federal Reserve Bank of ST. Louis (FRED). (2020). Retrieved May 7, 2020, from: https://fred.stlouisfed.org/

2. Francis Neilson, Arnold Toynbee's "Study of History". The American Journal of Economics and Sociology,14, April 1955: pp. 1-77. Retrieved 26th April 2020, from: www.jstor.org/stable/3484491

3. Frank M. Snowden, F. M. Epidemics and Society: From the Black Death to the Present. New Haven; London: Yale University Press, 2019. Retrieved 26thApril 2020, from: www.jstor.org/stable/j.ctvqc6gg5

4. Henry A. Kissinger, The Coronavirus Pandemic Will Forever Alter the World Order, The U.S. must protect its citizens from disease while starting the urgent work of planning for a new epoch. The wall Street Journal (WSJ), 3rd April 2020. Retrieved from:

https://www.wsj.com/articles/the-coronavirus-pandemic-will-forever-alter-the-world-order-11585953005?fbclid=IwAR1cwvTF14sQbA8_L05rEcj0ZqQ9esKxExdCxbJAtHpl9kWKmEQxn7lIkLI

5. International Labor Force Organization (ILO). ILO Monitor: COVID-19 and the world of work: updated estimates and analysis, Second Edition.7thApril 2020. Available at: https://www.ilo.org/wcmsp5/groups/public/@dgreports/@dcomm/documents/briefingnote/wcms_740877.pdf

6. Noam Chomsky, The Rich Aren't Waiting To Build a New World. Why Are We?,INTHESETTIMES, 14th April 2020. Retrieved from:

https://inthesetimes.com/working/entry/22465/noam-chomsky-coronavirus-labor-capitalist-profit-oligarchy

7. _____ , In Response to Coronavirus, You Can Do Something. An interview, 14th April 2020. Retrieved from:

https://jacobinmag.com/2020/4/noam-chomsky-coronavirus-pandemic-trump

8. Peter B. Evans, and William H. Sewell, " Policy Regimes, International Regimes, and Social Effects." In Social Resilience in the Neoliberal Era, edited by Peter A. Hall and Michele Lamont. New York: Cambridge University Press, 2013: pp. 35- 68.

9. World Health Organization (WHO) Database, last retrieved: 7th July 2020, from: https://covid19.who.int/

الملحق

جدول رقم (م – 1) أهم الجوائح والأوبئة التى تعرض لها الجنس البشري على مدار التاريخ، ومتوسط أعداد ضحاياها

م	التاريخ	اسم الجائحة أو الوباء	الوصف	متوسط عدد الضحايا
1	430 - 426 ق. م.	طاعون أثينا	أدى هذا الوباء إلى إضعاف قوة وسيطرة أثينا، وحالت شدة المرض والوفيات الناجمة عنه من انتشاره، في تطبيق لمفهوم «مناعة القطيع». ولم يكن معروفاً السبب الرئيس وراء هذا الطاعون.	طبقاً للمؤرخين، بلغ عدد الضحايا ربع القوات العسكرية الأثينية، وربع سكان أثينا خلال الأعوام الأربعة في تاريخ الجائحة.
2	165- 180 م	الطاعون الأنطوني	انتقل إلى شبه الجزيرة الإيطالية من خلال الجنود العائدين من الشرق الأقصى. وظهر مرة ثانية في الفترة (215- 266 م)، وسُمي حينها بالطاعون القبرصي. و قد تسبب بحسب المؤرخين في وفاة خمسة ألاف فرد يومياً في روما.	تسبب في وفاة ربع الجنود الإيطاليين المصابين به، وحوالي خمسة ملايين في أنحاء إيطاليا.
3	541-542 م	طاعون جستنيان	وباء أصاب الإمبراطورية البيزنطية، وكذلك الإمبراطورية الساسانية والمدن الساحلية في حوض البحر الأبيض المتوسط.وانتقل بواسطة الفئران الحاملة للبراغيث المصابة بالطاعون. وعُرف باسم الطاعون الدملي في مصر، ومنتقلاً منها إلى القسطنطينية بسبب الفئران المصابة القادمة في سفن الحبوب من مصر إلى المدينة. وكتب المؤرخ البيزنطي «بروكوبيوس» لأول مرة عن الوباء عام (541 م)، من ميناء «بيلوسيوم» بالقرب من السويس في مصر. تسبب الطاعون في ذروته في وفاة عشرة آلاف فردًا يومياً، وحوالي(40 %) من سكان مدينة القسطنطينية، وذلك بحسب ما ذكره "بروكوبيوس". ويعتقد بعض المؤرخين أن "طاعون جستنيان" كان أحد أكثر الأوبئة فتكًا في التاريخ، حيث أدى إلى وفاة ما يقدر بنحو(25-50) مليون شخص خلال قرنين، وهو ما يعادل(13-26 %) من سكان العالم في وقت تفشي الوباء.	أنهى الطاعون أنهى حياة ما بين ربع إلى نصف سكان العالم بأكمله، وتسبب في انخفاض سكان أوروبا بنسبة (50%) في فترة تفشي الوباء.
4	900 م -	الحصبة	هو مرض فيروسي حاد ومعدي يصيب الأطفال. أول من عرف هذا المرض الطبيب والفيلسوف أبو بكر الرازي، وذلك في بغداد سنة (900 م). وفي عام (1963م) توصل فريق من علماء الفيروسات إلى إنتاج لقاح مضاد للحصبة، ومع بداية التسعينيات أدى هذا اللقاح إلى نُدرة الإصابة بمرض الحصبة في غالبية الدول. وتأريخا، انتشرت الحصبة في العالم باعتبارها مرضًا معديًا بدرجة كبيرة وواسعة الانتشار.	أدت الحصبة إلى وفاة حوالي (200)مليون شخص حول العالم خلال السنوات الـ (150) الماضية. وسجلت (777.000) حالة وفاة بالحصبة عالمياً من أصل (40) مليون إصابة بالمرض عام 2000 ، وفقاً لبيانات منظمة الصحة العالمية.

تابع جدول رقم (م – 1)

م	التاريخ	اسم الجائحة أو الوباء	الوصف	متوسط عدد الضحايا
5	أواخر القرن الثامن عشر	الجدري	الجدرى مرضًا معديًا يسببه فيروس «فاريولا « . أدت الإصابة بالمرض إلى مقتل حوالي (400،000) سنويًا خلال تفشيه في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر. وفي ذات الفترة، قام الطبيب" إدوارد جينر"بتطوير اللقاح الأول ضد المرض، وبعد ظهور اللقاح وإطلاق حملات التطعيمالناجعة بين القرنين التاسع عشر والعشرين، وثّقت منظمة الصحة العالمية استئصال الجدري في ديسمبر عام (1979). و يُعد الجدري المرض البشري المعدي الوحيد المستأصَل بشكل كامل.	خلال القرن العشرين، وطبقاً لمنظمة الصحة العالمية،أدي الجدري في القرن العشرين إلى وفاةحوالي (300-500) مليون شخص. وبلغت الإصابات حوالي(50) مليون إصابةفي العالم سنويًا.
6	1330- 1353	الطاعون الأسود	بعد (800) عام من الاندلاع الأول له، ظهر الوباء مجددًا في أوروبا. انطلق المرض من آسيا ليصل لدول البحر المتوسط وغرب أوروبا في عام (1348م)، وتسبب في وفاة حوالي (20 - 30) مليون شخص في أوروبا خلال ست سنوات،بما يعادل ثلث سكانها. وكانت هذه الدورة الأولى لتفشي الطاعون الأسود في أوروبا، والذي استمر حتى نهاية القرن الثامن عشر. وأصبحالوباءمتكرراً في إنجلترا خلال الفترة بين عامي (1361- 1480م). ويعد طاعون لندن العظيمفي عامي (1665م) و (1666م) آخر اندلاعات هذا الوباء في إنجلترا. وتسبب حينها في وفاة حوالي مئة ألف فردًا، بما يمثل حوالي (20 %)من سكان لندن.	بحسب المؤرخين، يقدر عدد المتوفين بسببه حول العالم بحوالي 75 مليون فردًا.
7	1489 -	حمى التيفوس	تسمى أيضًا بحمى المعسكرات، بسبب ارتباط ظهورها بأوقات النزاعات. وتسمى أيضًا بحمى السجون، وحمى السفن؛ لظهورها عادة في الأماكن الضيقة كغرف الاحتجاز بالسجون وغرف السفن. وظهرت أثناء الحصار الإسباني لغرناطة ، ليظهر أثرها الأول في أوروبا وتحديدًا في أسبانيا عام (1489م). ولعب المرض دورًا كبيرًا في دمار جيش نابليون الكبير في روسيا عام (1812م) ، خلال الانسحاب من موسكو. وخلال الحرب العالمية الأولى، قتلت جائحة التيفوس ما يقارب (150،000) فردًا في صربيا. كان هناك ما يقارب (25) مليون إصابة و3 ملايين ضحية بسبب التيفوس الوبائي في روسيا بين عامي (1918 و1922). وأدت الإصابة بالتيفوس إلى موت عدد كبير من السجناء في معسكرات الاعتقال ومن الأسرى السوفييت في معتقلات الحرب خلال الحرب العالمية الثانية. وتوفي حوالي 3،5 مليون أسير حرب سوفييتي من أصل (5،7)مليون.	وفقً المنظمة الصحة العالمية، يقتل التيفوس (200000) شخص سنويًا. وقد تم تسجيل العديد من الحالات منذ أواخر القرن العشرين في بروندیوروندى أو أثيوبيا والجزائر، وكذلك في كل من أمريكا الجنوبية والوسطى. وباستثناء حالتين، حدثت جميع الحالات التي تم تسجيلها في الولايات المُتحدة الأمريكية غرب المسيسبِي، وعندما تم فحص الحالات في بنسلفانيا، ظهر أن مصدر العدوى هو السناجب الطائرة، وقد تم رصد (47) حالة خلال الفترة (1976–2010).

تابع جدول رقم (م – 1)

م	التاريخ	اسم الجائحة أو الوباء	الوصف	متوسط عدد الضحايا
8	1817- 1975	جوائح الكوليرا	انتشرت الكوليرا في القرن التاسع عشر، وتسببت في مقتل عشرات الملايين من الأفراد على مدار التاريخ الإنساني. ومن أهم جوائحها ما يلي:	بحسب منظمة الصحة العالمية، تسببت الكوليرا في وفاة عشرات الملايين من الأفراد على مدار تاريخ ظهورها وتطوراتها.

م	التاريخ	اسم الجائحة	الوصف
1	1817- 1824 م	جائحة الكوليرا الأولى	تفشت في شبه القارة الهندية في البداية، حيث بدأت في بنجلاديش، وانتقلت منها إلى الهند في عام 1820م. وتوفى على إثرها عشرة آلاف جندي بريطاني وعدد غير معروف من الهنود. وامتدت بعدها إلى الصين، وإندونيسيا، حيثما أصابت حوالي مئة ألف فرد في جزيرة جاوة، ثم امتدت إلى بحر قزوين قبل أن تنحسر. تجاوز عدد الوفيات في شبه القارة الهندية 15 مليون فردًا، وتجاوز عدد الضحايا في روسيا 2 مليون شخص خلال الفترة ذاتها.
2	1831- 1844م	جائحة الكوليرا الثانية	تفشت عام 1831م في روسيا، والمجر، وألمانيا ، ولندن ، ثم فرنسا، وكندا ، والولايات المتحدة الأمريكية (نيويورك) في العام ذاته، وساحل المحيط الهادي في أمريكا الشمالية عام 1834م. وقد راح ضحيته بحسب المؤرخين حوالي 150 ألف أمريكي خلال الفترة 1834- 1844م.
3	1846- 1860م	جائحة الكوليرا الثالثة	اندلعت في أول عامين لها في إنجلترا وويلز لتحصد أرواح 52000 فرد. وتسببت في وفاة حوالي مليون فرد في روسيا. وتسببت في أسبانيا في وفاة حوالي 236 ألف فرد، وأدت إلى وفاة 200 ألف فرد في المكسيك.

تابع جدول رقم (م – 1)

م	التاريخ	اسم الجائحة أو الوباء	الوصف				متوسط عدد الضحايا
			م	التاريخ	اسم الجائحة	الوصف	
			4	1863-1875م	جائحة الكوليرا الرابعة	انتشرت في أوروبا وأفريقيا، وتوفي على إثرها حوالي ثلاثين ألف فرد من أصل تسعين ألف من الحُجّاج في مكة. وحصدت أرواح 90.000 فرد في روسيا في عام 1866م.واندلعت في أمريكا الشماليّة في عام 1866م ، وتسببت بوفاة 50 ألف شخص.	
			5	1881-1896م	جائحة الكوليرا الخامسة	راح ضحيتها حوالي 250 ألف شخص في أوروبا، 50 ألف فرد من الأمريكيتين، وذلك خلال عامي 1883-1887م، وحصدت أرواح 267.890 فرد في روسيا عام 1892م، و120.000 فردفي أسبانيا،و90.000 فرد في اليابان، و60.000 فرد في إيران. وفي عام 1892م ، لوّثت الكوليرا إمدادات المياه في هامبورج بألمانيا، وأدت لمقتل حوالي 9000 فرد.	
			6	1899-1923م	جائحة الكوليرا السادسة	كان لها تأثير ضعيف على أوروبا بسبب التطورات الطبية، بينما تأثرت بها روسيا بشكل أكبر،فتسببت في مقتل 500.000 شخص في الربع الأول من القرن العشرين. وراح ضحيتها حوالي800.000 فردشخص الهند، و200.000 شخص في الفلبين في الفترة بين عامي 1902-1904 م.	
			7	1961-1975م	جائحة الكوليرا السابعة	بدأت في إندونيسيا، وسميت بكوليرا الطور بسبب تطوّر النمط الحيوي المسئول عنها. ووصلت بنجلاديش في عام 1963م، والهند في عام 1964م، والاتحاد السوفيتي في عام 1966م. ثم تفشت أفريقيا، و خاصةً في جنوب أفريقيا، ووسط إفريقيا.	

تابع جدول رقم (م – 1)

م	التاريخ	اسم الجائحة أو الوباء	الوصف	متوسط عدد الضحايا
9	1855 م	الوباء الثالث	بدأ في الصين وانتقل إلى الهند مسببًا وفاة عشرة ملايين فرد. وكان وباء مستحدث من الطاعون الدبلي أصاب مقاطعة يونان الصينية عام 1855، لينتشر لاحقاً إلى جميع قارات العالم المأهولة. ويعتقد أن هناك سببين وراء انتشاره، أولهما هو الطاعون المنتقل من التجارة عبر المحيطات، إثر نقل الناس والفئران والبراغيث الموبوءة على متن السفن. وأما السبب الثاني فهو إصابة المرض للجهاز التنفسي، الأمر الذي جعل انتشاره بالعدويسريعة. وقد انتشر على نطاقٍ واسع في قارة آسيا خصوصاً بمنطقتي منغوليا ومنشوريا. وظهر في الولايات المتحدة الأمريكية تحت مسمي طاعون سان فرانسيسكو خلال الفترة 1900- 1904م. ومازالت هناك حالات فردية لهذا الطاعون في غرب الولايات المتحدة.	تسبّب الوباء الثالث منذ ظهوره بمقتل 12 مليون إنسانٍ في الهند والصين وحدهما، وبحسب منظمة الصحة العالمية استمر الوباء حتى عام 1959، عندما انخفض معدل الوفيات العالمي منه إلى نحو 200 شخصٍ سنوياً.
10	أواخر القرن التاسع عشر	السل	أدت الإصابة به إلى مقتل حوالي ربع السكان في أوروبا. ومع حلول عام 1918، قدرت حالة من أصل تسع وفيات في فرنسا نتيجة الإصابة بالسل. و يُعد السل حتى اليوم أحد أهم المشكلات الصحية الحالية في العالم.	بحسب منظمة الصحة العالمية، يصاب 8 مليون شخص بالسل سنوياً، ويموت مليون شخص سنوياً بسبب تفشي المرض.
11	1918-1920م	الأنفلونز االأسبانية أو جائحة أنفلونزا	أصيب بها حوالي 500 مليون شخص في العالم، بما في ذلك قاطني جزر المحيط الهادي، والمنطقة القطبية الشمالية. وتسببت تحركات القوات العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى في انتشار وتحور المرض بشكل أسرع، وضعُفت مناعة الجنود وصاروا أكثر عرضة للإصابة بالإنفلونزا لأسباب أهمها: الإجهاد وسوء التغذية وضعف المناعة والحروب الكيمياوية. كما أسهم تطور نظم النقل في تسهيل انتشار الجائحة بين المسافرين من جنود ومدنيين.	بحسب منظمة الصحة العالمية، تسببت في وفاة ما بين 50 إلى 100 مليون شخص خلال فترة تفشيها.
12	1966-1972 م	الإيدز	نشأ فيروس نقص المناعة المكتسبة في أفريقيا وانتقل منها عبر هايتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية . ويصنف الإيدز كجائحة ذات معدل انتقال عدوى بنسبة تصل إلى 25% في شمال وجنوب أفريقيا. وفي عام 2006 ، وصلت نسبة انتشاره بين النساء الحوامل في جنوب أفريقيا إلى 29.1%. وما تزال ترتفع معدلات العدوى (الإصابة) في آسيا والأمريكيتين.	بحسب تقديرات منظمة الصحة العالمية، من المحتمل وصول عدد ضحايا الإيدز إلى حوالي 90- 100 مليون شخص في أفريقيا فقط بحلول عام 2025 م.

تابع جدول رقم (م – 1)

م	التاريخ	اسم الجائحة أو الوباء	الوصف	متوسط عدد الضحايا
13	1580-	الإنفلونزا	تنتشر الإنفلونزا في أرجاء المعمورة، مما يؤدي إلى إصابة حوالي ثلاثة إلى خمسة ملايين فرد سنوياً، وحوالي (250،000 إلى 500،000) حالة وفاة سنوياً. تحدث جائحات الإنفلونزا فى المناطق الشمالية والجنوبية من العالم بشكل رئيس في فصل الشتاء، بينما تحدث في أي وقت من السنة في المناطق المحيطة بخط الاستواء. ومنذ أول جائحة تم رصدها للإنفلونزا عام 1580 وجوائح الإنفلونزا تحصل بشكل دوري كل 10 إلى 30 سنة. وتم تسجيل العديد من الجوائح لفيروس الإنفلونزا منها في الفترات 1730-1729 م، و1733-1732 م، و1782-1781 م، و1834-1833م، و1848-1847م. وقد وقعت ثلاثجائحات إنفلونزا في القرن العشرين، هي: الإنفلونزا الإسبانية (السابق الإشارة اليها) في عام 1918م (50 مليون حالة وفاة تقريباً)، والأنفلونزا الأسيوية في عام (1957) (حوالي مليوني حالة وفاة)، وإنفلونزا هونجكونج عام 1968 (حوالي مليون حالة وفاة).و أعلنت منظمة الصحة العالمية تفشي نوع جديد من الأنفلونزا (H1N1) باعتباره جائحة إنفلونزا الخنازير (2009). وما يلي عرضاً موجزاً لأهم جوائح وأوبئة الإنفلونزا: 1 – الإنفلونزا الإسبانية: انتشرت بعد الحرب العالمية الأولى بين عامي (1918 و1919) مخلفة حسب التقديرات الأولية ما بين (50-40)مليون وفاة، بينما ترفع التقديرات الحالية هذا العدد إلى (100-50) مليون في جميع قارات العالم. 2 – الإنفلونزا الأسيوية: سببها فيروس (H2N2) الذي بدأ انتشاره في الصين بين عامي (1956 – 1958). وقد ظهر الوباء في سنغافورة في فبراير وهونج كونج في أبريل من عام (1957). وفي يونيو من نفس العام وصل الفيروس الولايات المتحدة وسبب بوفاة حوالي (70) ألف شخص هناك. كما سبب الفيروس بوفاة ما بين مليون إلى 4 ملايين شخص حول العالم. وتم حد انتشار الجائحة تطوير لقاح فعال ضد المرض في عام (1957). 3 – إنفلونزا هونجكونج: هي وباء لفيروس الإنفلونزا (H3N2) انتشر بين عامين (1968 و1969) . وأدى إلى وفاة ما يقارب مليون فرد. أصيب بالعدوى (15 %)من سكان هونجكونج (حوالي 500 ألف شخص) لكن نسبة الوفاة كانت منخفضة نسبياً. وتوفى حوالي (33800) شخص في الولايات المتحدة. ونتيجة لانخفاض الوفيات تعتبر إنفلونزا هونجكونج أقل أوبئة الإنفلونزا خطورة.	وفقاًللتقديراتالصادرةعنمنظمةالصحةالعالمية عام 2018،يصلعددوفياتالأمراضالتنفسيةالناجمةعنالأنفلونزاالموسميةإلى650،000 وفاةسنوياً.

تابع جدول رقم (م – 1)

م	التاريخ	اسم الجائحة أو الوباء	الوصف	متوسط عدد الضحايا
			4 – فيروس إنفلونزا الطيور: سببها فيروس(H5N1) ، الذي ظهر في فبراير عام 2004. وتم رصد فيروس إنفلونزا الطيور بين الطيور في فيتنام. ويمكن لمثل هذا التطور من فيروس الإنفلونزا أن يسبب جائحة عالمية، مماثلة للإنفلونزا الإسبانية، أو أن يكون مماثلًا للجائحات والأوبئة الأقل خطورة، مثل الإنفلونزا الآسيوية وإنفلونزا هونجكونج. وفي مايو عام (2005) ، دعا العلماء كافة الدولإلى الاستعداد لمواجهة جائحة إنفلونزا، بإمكانها أن تقضي على (20 %)من سكان العالم. وفي أكتوبر عام 2005، حُدّدت حالة إنفلونزا طيوري في تركيا. ورُصدت أيضاً حالات من إنفلونزا الطيور بعدهابمدة قصيرة في رومانيا واليونان، ووجدت أيضًا حالات محتملة من الفيروس في كرواتيا وبلغاريا والمملكة المتحدة. ومع حلول نوفمبر لعام (2007) ، تفشت الإصابة بالفيروس في أوروبا. ولا يمكن حتى الآن تصنيف إنفلونزا الطيور على أنها جائحة، لأنه من غير الممكن للفيروس أن يبقى وينتقل من إنسان إلى آخر بشكل فعال،وعُرفت الحالات حتى الآن بانتقالها من الطيور إلى البشر.وكان هناك حالات قليلة جدًا انتقل فيها الفيروس من إنسان إلى إنسان، ففي حين تنتقل فيروسات الإنفلونزا العادية من خلال ارتباطها بمستقبلات (تاجيات) في الحلق والرئتين، إلا أن فيروس إنفلونزا الطيور يمكنه الارتباط فقط بمستقبلات تقع في عمق الرئتين عند الإنسان، الأمر الذي يتطلب اتصالًا مباشراًومتصلاً مع المصاب، ما يعني محدودية انتقال الفيروس من إنسان إلى إنسان. 5 – فَيروس زيكا (Zika Virus) : ينتقل الفيروسعن طريقلسع البعوض، مثل البعوضة المصرية، واكتشفلأول مرة في أوغندا عام (1947م) في القرود، ثُم اكتُشف بعد ذلك في البشر عام (1952م) في أوغندا وتنزانيا، وقد سُجلالفيروس في إفريقيا وآسيا والأمريكيتين والمحيط الهادئ. وفي عام (2016)، وصل انتشار الفيروس لأعلى مستوياته في تاريخ الأمريكيتين، بدأ انتشار المرض في أبريل من العام (2015) في البرازيل ثم انتشر بعد ذلك في بلدان أخرى من القارة الأمريكية الجنوبية وأمريكا الوسطى ومنطقة بحر الكاريبي.	

م	التاريخ	اسم الجائحة أو الوباء	الوصف	متوسط عدد الضحايا
			6 - فيروس إنفلونزا الخنازير: في ربيع 2009، تعرَّف العلماء على سلالة مستحدثة من الإنفلونزا تُعرف باسم H1N1. وفي الواقع، إن هذا الفيروس هو مزيج من الفيروسات الواردة من الخنازير والطيور والبشر. وخلال موسم الإنفلونزا لعام 2009-2010، أدى فيروس H1N1 إلى إصابة الجهاز التنفسي بالعدوى، وسميت باسم إنفلونزا الخنازير. ومنذ ذلك التاريخ، قام العلماء بتغيير طريقة تسمية الفيروسات، ففيروس H1N1 يُطلَق عليه الآن اسم H1N1v. يُشير حرف الـ v إلى كلمة "variant"، وتَعني "التنوُّع"، وهذا يَعنى أن الفيروس عادةً ما ينتشر بين الحيوانات، ولكن أصيبه البشر. ومنذ عام 2011، تم اكتشاف فيروس آخر أُطلق عليه H3N2v ينتشر بين البشر، وقد تمَّ تضمين لقاح للسلالتين في لقاح الإنفلونزا لعام 2019-2018.	

المصدر: بواسطة الباحث، بالاعتماد على مصادر متنوعة.

جدول رقم (م - 2)

أهم الحروب التي خاضتها البشرية منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى عام 2020 مرتبة تأريخياً بحسب تاريخ بداية الحدث، ومتوسط أعداد القتلى

م	التاريخ	اسم الحرب	مكان الحدث	متوسط عدد القتلى
1	1851- 1864م	تمرد تايبينج.	الصين، وتحديداً جنوب الصين.	حوالي 44.8 مليون إنسان.
2	1856- 1873 م	تمرد بانثاي.	الصين.	حوالي مليون إنسان.
3	1862 - 1877 م	تمرد دونجان.	الصين، وسميت أيضاً حرب أقلية الهوي. وشمله تمرد بانثاي الذي وقع في مقاطعة يونان خلال ذات الفترة.	حوالي 20.8 مليون إنسان.
4	1864- 1870 م	حرب باراجواي	أمريكا الجنوبية.	حوالي 600 ألف إنسان.
5	1911- 1920 م	الثورة المكسيكية.	المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية. أمريكا الشمالية.	حوالي مليون إنسان.
6	1914- 1918 م	الحرب العالمية الأولى	أرجاء المعمورة بأسرها.	حوالي 17.8 مليون إنسان.
7	1917- 1920 م	الحروب الأهلية الروسية.	روسيا.	حوالي 6.8 مليون إنسان.
8	1927- 1950 م	الحرب الأهلية الصينية.	الصين.	حوالي 8 مليون إنسان.
9	1936- 1939 م	الحرب الأهلية الأسبانية.	أسبانيا.	حوالي 707.2 ألف إنسان.
10	1939- 1945 م	الحرب العالمية الثانية.	أرجاء المعمورة بأسرها.	حوالي 74.5 مليون إنسان.
11	1950- 1953 م	الحرب الكورية.	كوريا، الكوريتين الشمالية والجنوبية.	حوالي 1.35 مليون إنسان.
12	1954- 1962 م	الحرب الجزائرية .	الجزائر، شمال أفريقيا.	حوالي 724.6 ألف إنسان.
13	1955 – 1975 م	حرب فيتنام	فيتنام، جنوب شرق آسيا.	حوالي 1.6 مليون إنسان.
	1966- 1970 م	الحرب الأهلية في نيجيريا.	نيجيريا.	حوالي 1.8 مليون إنسان.
14	1971- 1972 م	حرب تحرير بنجلاديش.	شرق باكستان.	حوالي 279.3 ألف إنسان.
15	1979- 2000 م	الحرب في أفغانستان.	أفغانستان.	حوالي 1.8 مليون إنسان.
16	1980- 1988 م	الحرب السوفيتية الأفغانية .	أفغانستان.	حوالي 1.1 مليون إنسان.
17	1980- 1988 م	الحرب العراقية الإيرانية.	الحدود العراقية الإيرانية.	حوالي 564.2 ألف إنسان.
19	1983- 2005 م	حرب السودان الأهلية الثانية.	السودان.	حوالي 1.4 مليون إنسان.
20	1998- 2003 م	حرب الكونغو الثانية	جمهورية الكونغو الديمقراطية.	حوالي 3.7 مليون إنسان.
21	2001 – 2013 م	الحرب علي الارهاب	الشرق الأوسط.	حوالي 585.5 ألف إنسان.

المصدر: بواسطة الباحث، بالاعتماد على مصادر متنوعة.